ملتقى القاموسي

(٦)

خطط بغداد

في دراسات المؤرخين المحدثين



الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

المكتبة العصرية - بغداد

٢٠٠٢

تصميم مكتب آيس

ملتقى القاموسي
(٦)

خطط بغداد
في دراسات المؤرخين المحدثين

تأليف
الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

المكتبة العصرية
٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

استأثرت بغداد منذ تأسيسها في منتصف القرن الثاني للهجرة، باهتمام الباحثين في خططها(١)، فكان أن ألَّفَ في هذا المجال مؤرخون وبلدانيون أجلاء، منهم اليعقوبي، وابن سيرابيون، والخطيب البغدادي، وابن الفقيه، وياقوت، وابن الجوزي، وغيرهم ممن يخرج تعدادهم عن نطاق هذا البحث(٢)، فكتب هؤلاء في تأسيس مدينتهم، وسِكَكِها وشوارعها وقصورها ومساجدها ودورها ودياراتها وبساتينها وأنهارها وجسورها وبِركها .. الخ، إلاّ أن تلك المُدونات كانت، في مجملها، وصفية، فتكلمت على وضعٍ كان

---

(١) الخطط لغة جمع خِطة ، بالكسر ، وهي الأرض التي يختطها الرجل لنفسه وهو أن يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها داراً . وتعني اصطلاحاً : المحلات والقطائع ، ومنه خطط الكوفة والبصرة . وعلم الخطط هو ما يُتبع من وسائل ومناهج لدراسة تخطيط المدن ،من حيث شكلها واتجاهات شوارعها ودروبها ومساحات محلاتها ، ومواقع جسورها ومقابرها وضواحيها، وما تحتويه من منشآت : كالقصور والدور والمدارس والمساجد والمشاهد والديارات وغير ذلك. ومع أن المصطلح قريب من أن يقابل كلمة طبغرافية (Toppographe) المأخوذة من اليونانية وتعني وصف المكان أو رسمه، فإن علم الخطط مطلقاً يقصد به عند المؤرخين العرب المحدثين دراسة تلك الشؤون في المدن القديمة فحسب، كفرع من فروع علم التاريخ نفسه .

(٢) انظر د . صالح أحمد العلي : مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية . مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد١٤ (بغداد ١٩٦٧)ص٣-٢٣ .

قائماً في حينه، أو جمَعت نصوصاً عن المدينة، يرقى كل منها إلى زمن محدد، دون أن تُبرِز منهجاً علمياً يُستعان به في توضيح حركة تطور المدينة في مراحل متعاقبة، من ظهور منشآت واندثار غيرها، وتغير مساحات المناطق المسكونة ، وتبدل وظائفها، إلى غير ذلك .

وهكذا فقد بات عسيراً معرفة ما آل إليه حال منشأة أنشئت في القرن الثاني، وما أمسى يحتل أرضها في القرن الثالث مثلاً، فضلاً عن القرون التالية . وزاد من صعوبة البحث، تقلّب الأحوال في بغداد، بعد تعاقب الكوارث البشرية والطبيعية المختلفة في القرون المتأخرة، واندثار معالمها المتبقية من عصر الازدهار السالف، مما حال دون إكمال المؤرخين عامة، وحتى من كتب تاريخها خاصة، ما بدأه السابقون في هذا السبيل.

وليس هذا غريباً في عصور غدت فيها بغداد أشبه بقرية كبيرة، فتهدمت قصورها، وأُهملت مساجدها، واندثرت مدارسها، وأصاب الخراب أكثر محلاتها المأهولة، فتقلصت مساحتها حتى في داخل أسوارها نفسها، واختفت – من ثَمَّ – معظم معالمها الدّالة على مراحل نموها وتطورها، ولذا فإننا لم نجد، من المصادر التاريخية أو البلدانية، مما أُلِّف بعد القرن السابع للهجرة، ما عُني بخطط المدينة ، فعين موضعاً أو وصف مرفقاً. وباستثناء ما كان يرد من أسماء منشآت قليلة في تواريخ المعاصرين، لم نجد في أيدينا ما يدلنا على ما أصاب المدينة من تغير، أو ما أضيف إليها من معالم خططية عهد ذلك .

بواكير اليقظة

شهد الاهتمام بخطط بغداد في مطلع القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) تقدماً محسوساً بعد عهد بعيد من الإهمال، ففي هذا القرن، استأنف ولاة بغداد الأقوياء (وأولهم حسن باشا ثم ابنه أحمد باشا فمماليكهما من بعدهما) دورها الإداري، بوصفها مركز الثقل الرئيس في العراق كله، فرُبطت بها ولايتا البصرة وشهرزور، وأوكلت إليها مهمة الإشراف على الإمارات الشمالية في العمادية و راوندوز، وعزّز ذلك كله تأسيس أول جيش محلي في البلاد، أثبت فاعليته في الحرب العثمانية – الإيرانية التي خاضها حسن باشا وأحمد باشا، ثم في دفاعه الناجح عن بغداد نفسها أثناء غزو نادر شاه العراق في منتصف ذلك القرن.

ولقد كان لتعاظم دور بغداد الإداري والعسكري، أثره في تأكيده أهميتها التاريخية، فانتعشت بذلك – ولو ببطأ شديد – حركة الكتابة في تاريخها، وبرز لنا أول مؤرخ عراقي يُفرِد كتاباً مستقلاً في تاريخها، وهو المؤرخ مرتضى آل نظمي (المتوفى سنة ١١٣٦ هـ – ١٧٢٣ م)[٣]. ويكشف عنوان كتابه، المسمى (كُلْشَن خُلَفا)[٤] أي حديقة الخلفاء، عن

---

(٣) ولد في بغداد من أسرة قديمة نبغ فيها عدد من الأدباء والشعراء، وكان أبوه كاتباً للديوان في بغداد، وتولى هو هذا المنصب بعده، واستفاد من توليه ذلك بإدراجه نصوص وثائق رسمية في تاريخه . كتابنا التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني (بغداد ١٩٨٣) ٩٨ – ١٠٠ .

(٤) منه نسخ خطية عدة في بغداد وأستانبول والقاهرة وباريس ولندن وطبع في استانبول (مطبعة إبراهيم متفرقة، غرة صفر ١١٤٣ هـ ١٧٣٠م ، في ٢٦٠ صفحة) ونقله إلى العربية موسى كاظم نورس (مطبعة الآداب ، النجف ١٩٧١، ٣٧٤ صفحة) .

تصور المؤلف لمدينته ، فهي لم تعد في نظره، مجرد مبـان رثَّـة، وأزقـة ضيقة، ومرافق متواضعـة، وإنما هي حديقة الخلفاء، حيث تضم ذكريـات عزٍ باذخ، ومجدٍ أثيل، يوم كانت بغداد حاضرة الدنيا بما تضمه من قصـور الخلفاء، ومواطن عزهم ومجدهم، وبذا فإنه تحـدَّث عـن تأسـيس بغـداد وتطورها في العصور السالفة، وعَرَض لتاريخ الخلفاء العباسـيين، فـالدول المتغلبة، وصولاً الى الولاة العثمانيين، وكل ذلك لا يتصل اتصالاً مباشـراً بخطط المدينة إلاّ نادراً، حينما كان يصف ما شيده الولاة من مساجد وأسواق في تلك القرون المتأخرة، مثل إنشاء جامع حسين باشا السَـلَحْدار، وسـوق المستنصرية ، وجامع القَبْلانية، وتعمير جامع عمر السهروردي، وحتى فـي هذه الاشارات، فإنه لم يوضح طبيعة ما كان يشغل أرض تلك المنشآت قبـل إنشائها، ليُتعرَّف بذلك على شيء من خطط المدينة السالفة.

الاستدلال بالأضرحة

على أن في وسعنا أن نرى في كتاب مرتضى الآخر، المعنون (جامع الأنوار في تراجم الأبرار) اقتراباً أشد من موضوع الخطط، فهذا الكتاب الذي ظل مخطوطاً إلى اليوم[٥]، تضمن تراجم عدداً من الأعلام البارزين الذين دفنوا في بغداد، وقسم منهم ظلت قبورهم ماثلة إلى عصره، وبينها قبور نسبت إليهم في أزمان متأخرة عن وفياتهم، ولم يميز مرتضى آل نظمي بين ما هو حقيقي ومنسوب من تلك القبور، لأنه اعتمد على ما تعارف عليه معاصروه، وذلك لنقص في مصادره التاريخية التي استقى منها مادة كتابه . وهكذا فإنه أقرّ مثلاً بما كان ذائعاً في عصره من أن مرقد الإمام أحمد القدوري متصل " بسوق السراج خانه له مزار مشهور يزار على الدوام والتكرار"، هذا مع أن الإمام المذكور مدفون في الجانب الغربي من بغداد. وذكر أن الصوفي المشهور الحارث المُحاسبي "مرقده في تكية فقراء المولَوِيّة(جامع الآصفيّة) في بغداد وضريحه هناك مشهور معروف بشيخ المشايخ كثير الزوار"، ولا دليل يؤكد صحة تلك النسبة . وأشار إلى وجود قبر الشيخ حمّاد الدبّاس في " قصبة الأعظمية " مع انه مدفون في الشونيزية ، أي مقبرة الجُنيد البغدادي، بالجانب الغربي . وذكر أن قبر حبيب العجمي في الجانب الغربي ، ولكنه أعلن عن شكّه في ذلك إذ قال "ومرقده لم

---

(٥) نقله إلى العربية السيد أحمد بن حامد الفخري مفتي الموصل (المتوفى سنة ١٢٢٩هـ /١٨٠٤م) ومن هذه الترجمة نسخة بخط المترجم في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل برقم ٤/ ٢٢ مجموعة مدرسة حسن باشا الجليلي . وقد اعتمدنا هذه النسخة فما يلي من إحالات . وحقق حميد مجيد هدو هذا الكتاب، بإشرافنا، متخذاً إياه موضوعاً لرسالته للماجستير التي تقدم بها إلى معهد التاريخ العربي سنة ١٩٩٦ .

يعلد من الكتب المعتبرة" . وعدا ذلك فإنه حدد مواضع عدد غير قليل من القبور الصحيحة النسبة. مثل قبور أبي بكر الشبلي، وأبي الحسين النوري، وبشر الحافي، والسري السقطي، والجنيد البغدادي، وداود الطائي، وبهلول الكوفي، والشيخ صندل (وهو صندل المقتفوي) وشهاب الدين السهروردي، وأبي النجيب السهروردي، ومحمد الأزهري، ومحمد العاقولي . وعين مواضع قبور كانت شاخصة في عهده ولم تعرف هويات أصحابها على وجه التحقيق، مثل قبور الإمام ناصر الدين في جامع جديد حسن باشا، ومحمد الألفي، ومحمد المجنون عند الباب الوسطاني، وبير داود "في ميدان السوق في بغداد"، والسيد إبراهيم "قرب مرقد الشيخ شهاب الدين السهروردي"، وإبراهيم الفضل "في جامع حسين باشا"، وجومرد القصاب "في جوار مزار الشيخ شهاب الدين"، وبابا فخر ولي في "المحل المعروف بالحيدر خانه"، ومحمد جركين " قرب مرقد داود الطائي، ومعروف الكرخي". وفي الكتاب إشارات عدة إلى مواقع خططية بائدة مثل مقابر باب الشام، والمالكية، وباب التبن، وباب حرب، ودار القطن وغير ذلك.

وفي مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) وضع مؤرخ موصلي مكثر، هو ياسين بن خير الله الخطيب العمري (المتوفى بعد سنة ١٢٣٢ هـ /١٨١٦م) كتابا مهما في تاريخ بغداد سماه (غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام)[٦] فجاء هذا الكتاب معبرا عن نظرة التقدير المتميزة التي أخذ ينظرها المؤرخون العراقيون عهد ذلك إلى مدينة بغداد، بوصفها -كما ذكر هو في مقدمته – "دار المراد و معدن الفضل

(٦) منه نسخ عدة في المتحف العراقي، وفي مكتبة الدولة في برلين، ونشره علي البصري (بغداد، مطبعة دار البصري،١٩٦٨، ٤٠٦ص) دونما تحقيق.

بغداد، بوصفها –كما ذكر هو في مقدمته – "دار المــراد و معــدن الفضــل والرشاد". ولم يكتفِ بالكلام على المدينة فحسب، وإنما على أعمالــــها مــن المدن والقرى، بل أنه مدَّ نطاق بحثه ليشمل مدناً بعيدة مثل البصرة والعمادية والعقر وغيرها، وذلك لكونها أخذت تتبع بغداد إدارياً، فعُدَّت مــن إقليمــها. ومع إن المؤلف لم يزر بغداد قط في حياته –كما صرَّح هو بذلك – إلاّ أنــه استطاع أن يجمع بين دفتي كتابه فصولاً عدة شملت موضوعــات تاريخيــة وبلدانية مما له تعلّق بهذه المدينة، فتكلــم مثــلاً علــى أبوابــها ومحلاتــها وقصورها وطاقاتها وأسواقها ومراقد أوليائها وأديرتها ومقابرها وأنــهارها، مع أشياء من تاريخها، فصار عمله أشبه بموسوعة صغيرة عن هذه المدينــة، لم يسبق أن وضع أحد مثلها من قبل في العصر الحديث .

وعلى الرغم مما يعتَوِر منهج العمري من مآخذ، فإن في وســعنا أن نعدّه أول مؤرخ عراقي اجتهد في التوصل إلى حقيقة ما آل إليه أمر عدد من منشآت المدينة القديمة في عهده ، وهو ما يضعه بين روّاد الباحثين في خِطط بغداد من المحدثين، من ذلك مثلاً قوله أن محلة بادُوْريا في الجانب الغربي " معروفة الآن بقَرشي ياخا بينها وبين بغداد (يريــــد : الجــانب الشــرقي) نـــــهر الدجلة "[٧] فمع أن قرشــي ياخا (وهي كلمة تركية تعنــي الجــانب الآخر، أو ذلك الصوْب) تُطلق في عصره على محلات الكرخ المأهولة فقــط ، وأن بادوريا في العصر العباسي كانت تعني منطقة زراعية واسعة ليســت المحلات المذكورة إلاّ جزءاً يسيراً منها، إلاّ أن محض التوصل إلى أن هــذه المنطقة هي في الجانب الغربي يعني أن منهج الاستدلال كان سليماً. ومثــل

(٧) غاية المرام ٢٤ وقارن معجم البلدان، مادة (بادوريا) .

ذلك قولــه أن " محلة الفضل شرقي بغداد في أواخر سوق السلطان مما يلــي نهر المُعلَّى "[٨] فهذا وصف دقيق يدل على أن بعض أســماء معــالم بغــداد العباسية كان معروفاً في عهده، وقد مكَّنه ذلك من تحديد موضع محلة حديثــة نسبياً، هي (الفضل) بحسب تلك المعالم . وقوله عن محلة تل الزَّبيب "وأظن هي الآن عامرة بأهلها "[٩]. ولاحظ أوجه التغيير الذي أصاب بعض المحلات القديمة، فذكر مثلاً أن مرقد الإمام أبي حنيفة "مثل البلد، له سور مقابل بغداد، وأول من عمَّرَه أبو سعيد(والصواب: أبو سعد) وزير ملك شــاه الســلجوقي (والصواب أنه مُستوفي مملكة آلب آرسلان) وأوقف له أوقافاً كثــيرة، ثــم عمَّره ثانياً السلطان سليمان خان بن السلطان سليم ســنة تســعمائة وإحــدى وأربعين، وجعل به مدرسة وعمل له مُسنَّاة تمنع مــاء دجلــة عنــد وقــت الزيادات، ثم عمَّره السلطان محمد سنة ألف واثنين وتسعين، وهو اليوم كامل العِمارة تعرف بلده بالمُعَظَّم "[١٠].

وجرياً على المنهج الذي اتخذه مرتضى آل نظمي في التأكيد علــى أهمية قبور اولياء المدينة الشاخصة، واتخاذها دليلاً على ما بادَ من معالمــها القديمة، فإنه عقد فصلاً في ما تضمه من " المراقد المُشرَّفة " لخَّــص أكــثر مادته من كتاب (جامع الأنوار) لمرتضى آل نظمي، وسجَّل في هذا الفصــل التسميات الحديثة الشائعة على ألسن أهل زمانه، للمحلات التي تقع فيها تلــك

---

(٨) غاية المرام ٢٥ .

(٩) المصدر نفسه ٢٤ .

(١٠) المصدر نفسه ٣٣ .

المراقد، ومن المؤكد أنه استفاد في بعض معلوماته ممن كان يزور بغداد من أهل مدينته، وقد ترجم هو لعددٍ منهم في فصل آخر .

من ذلك أنه حينما تكلم على قبر أحمد بن حنبل ذكر أنه "قد تسلّط الماء عليه وفُقد أكثره "[11] مع أن الذي تسلط الماء عليه هو قبر ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، وكان قد دُفن في مقابر باب التبن في شمالي بغداد، أما قبر الإمام أحمد فلم تمسّه الماء وكان شاخصاً في مقابر باب حرب، التي من بقاياها اليوم مقبرة الهِبْنَة في الشمال الغربي من قصبة الكاظمية. وكانت دجلة قد جرفت قبر عبد الله المذكور وما حوله قبل ذلك بنحو قرنين أو أكثر. وصرَّح بأن القبر المنسوب إلى حبيب العَجَمي، الكائن في الكرخ "في مسجد وسط محلة في بغداد "[12] فأثبت بذلك وجود العمران، وامتداده حول هذا القبر عهد ذاك . وإذ ذكر أن مرقد الشيخ ذو النون المصري هو غير معلوم المكان من بغداد[13] فإنه لاحظ أن "قرب مرقد الجُنَيد قُبة تعرف بقُبة ذي النون المصري".

وذكر أن مرقد الحارث المُحاسبي الصوفي المعروف، يقع بحسب اعتقاد الناس - في تكية المَولَوية في بغداد [14]، وهي التكية التي تحولت إلى جامع الآصِفيّة قرب المدرسة المستنصرية، وإن مرقد الإمام القُدوري في بغداد متصل بالسراجخانة ،[15] يريد بذلك سوق البزّازين الكبير المقابل.

---

(11) المصدر نفسه ٣١- ٣٨ .

(12) المصدر نفسه ص ٣٢.

(13) المصدر نفسه ص ٣٣.

(14) المصدر نفسه ص ٣٥.

(15) المصدر نفسه ص٣٨.

ويمكن تلخيص منهج العمري بأنه اعتمد على تسجيل الشواخص الماثلة، في بغداد، وأكثرها مراقد الصالحين، استناداً على معلومات معاصريه. وعلى الرغم من أن هذا المنهج مكننا من معرفة تواريخ ظهور التسميات الجديدة للمحلات القديمة، كالسَّنك، وقاضي الحاجات، والسَّبع أبكار وغيرها، فإن نتائجه في تطبيق المواقع القديمة على خريطة بغداد في عهده لم تكن صحيحة دائماً، بسبب أنه اعتمد في تحقيق هوية صاحب القبر على اعتقادات الناس المعاصرين، وكثير من هذه الاعتقادات كان مجرد أخطاء موروثة، فلا الحارث المحاسبي، ولا الإمام القُدوري، قد دُفن في أيٍ من هذين الموضعين على وجه التحقيق، ومن ثم فإن الخطأ في هوية الدالة، أدى - بالتأكيد - إلى خطأ في الاستدلال نفسه.

ظلّت قبور الصالحين تمثل شواخص باقية من مدينة زال معظم معالمها الخططية الأخرى، تُذكِّر الناس بأهمية مدينتهم، وجلال من ثوى في أرضها من أعلام. وفي الواقع فإن تلك الشواخص كانت الجانب الذي عُني به مؤرخو القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م) من خطط بغداد القديمة. ويُعد كتاب (تراجم الوجوه والأعيان المدفونين في بغداد وما جاورها من البلدان)[١٦] الذي وضعه رئيس مدرسي بغداد، الشيخ صفاء الدين عيسى البَنْدَنيجي (ت ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦ م)[١٧] في نحو منتصف القرن أحد أبرز المؤلفات التي عُنيت بهذا الاتجاه من البحث الخططي. والكتاب في أصله

---

(١٦) منه نسخ عدة في بغداد وغيرها ، انظر عنها كتابنا : التاريخ والمؤرخون العراقيون ٢٠٣- ٢٠٤.

(١٧) بحثنا : صفاء الدين عيسى البندنيجي، حياته وآثاره، مجلة المورد ١٣، العدد ٢ (بغداد ١٩٨٤) ص ٣- ٢١ .

ترجمة عربية لكتاب (جامع الأنوار) المذكور، لكن البندنيجي أوسعه زيادة وإضافة، وحقق مادته العلمية، ورجع الى أصوله ومصادره، فقارن وصحح وعدل، حتى تضاعف حجم الكتاب، وزادت قيمته، فعده المستعرب الروسي كراتشوفسكي "مصدرا من الدرجة الأولى في مجال الطوبوغرافيا والإثنوغرافيا فيما يتعلق بالأزمنة المتأخرة، وقد انعكس هذا جليا في الأبحاث التي كتبها عن بغداد المستشرقان الفرنسيان هوار وماسنيون اللذان أفادا كثيرا من مادته " (١٨).

لقد حفل كتاب البندنيجي بمعلومات جمة عن معالم مدينة بغداد المختلفة، وبخاصة في العصور المتأخرة، ففيه أسماء مشاهد بادت، وأخرى لم تزل ماثلة، ووصف مساجد وأسواق، وضبط مواقعها بحسب العصر، مثال ذلك ما ذكره في صدد قبور الإمام ناصر الدين، وقنبر علي، وحبيب العجمي، والقدوري، وغيرهم. ومعلوماته بوجه عام لا غبار عليها ، إلا أنه ظل مقيدا رغم زياداته الكثيرة في المادة و المصادر بالمنهج الذي اتخذه مؤلف الأصل، في عده بعض القبور المنسوبة إلى الصلحاء السالفين، دلائل ثابتة تشير إلى ما استجد حولها من مسميات، دون ملاحظة أن نِسبة تلك القبور إلى أصحابها لم تكن صحيحة دائماً، ومن المحتمل أنه لاحظ ذلك أحياناً، لكنه لم يجرؤ على مخالفة الاعتقادات الراسخة لدى معاصريه في هذه القبور وما تحتويه من بركات أصحابها (١٩).

---

(١٨) كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم(القاهرة ١٩٦٣) ج٢ ص ٦٤٦.

(١٩) بحثنا : صفاء الدين عيسى البنديجي، حياته وآثاره، مجلة المورد ١٣، العدد ٢ (بغداد ١٩٨٤) ص ٣- ٢١ .

وفي أواخر القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م) كتب عالم بغدادي متنوع الاهتمامات، هو الشيخ إبراهيم فصيح الحيدري البغدادي (١٢٣٥ - ١٣٠٠هـ / ١٨٢٠ - ١٨٨٢م) ثلاثة كتب مستقلة في تاريخ بغداد، هي (نهاية المُراد من أحوال بغداد) و(أحسن الكلام في مدينة السلام) و(عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد) ومن المؤسف أن ضاع أثر الكتاب الأول، وهو الذي أفرده لتاريخ هذه المدينة، فلا يُعلم حجم المادة الخططية فيه وأهميتها. أما الثاني فقد جاء مختصراً يصف أحوال بغداد في عهد الخلافة العباسية، ونبذة من تاريخها في العصر العثماني، وكلام عن أسرها وقبائلها. أما الثالث فقد لقي قبولاً حسناً لدى قرآء عصره، بدليل كثرة نُسَخه الخطِّية المتبقية [٢٠]. وتؤلف المادة الخاصة ببغداد، من هذا الكتاب، نحو ثُلثه تقريباً [٢١]، وهي تتضمن نصوصاً تاريخية عن إنشاء المدينة المدورة في الجانب الغربي، ومساحتها، وما كانت تضمه من سِكك ودروب وأسوار وأبواب وقنوات، وما شُيِّد حولها من قنوات وقصور، ثم نصوصاً أخرى عن إنشاء الرصافة في الجانب الشرقي، فانتقال العمران إلى حوالي دار الخلافة العباسية في جنوبي ذلك الجانب، وما ورد فيها من أخبار القصور الفخمة والحمامات الكثيرة. ومع أن طريقة الحيدري اعتمدت مبدأ اختيار النصوص في الموضوع الواحد، دون توليفها في صيغة محددة، إلا أن السياق الزمني لنشوء هذه المواضع وتطورها، جاء ليقدم فهماً تاريخياً

---

(٢٠) انظر مواطن هذه النسخ في كتابنا: التاريخ والمؤرخون ص ٢٢١- ٢٢٢. وقد طبع الكتاب بدون تحقيق (مطبعة دار البصريه بغداد بدون تاريخ ٢٦٧ص).

(٢١) عنوان المجد ٧٩

سليما وعلميا، فالكلام على المدينة المدورة يسبق الكلام على الرصافة، وحديثه عن الأخيرة يتقدم حديثه على دار الخلافة وما حولها، وهو يوافق السياق الزمني لنشوء هذه المواضع وتطورها، مما يقدم تصورا تاريخيا سليما يصلح أن يكون قاعدة لأية دراسة خططية أكثر تفصيلا.

والحيدري هو أول مؤرخ عراقي حدد موقع المدينة المدورة، إذ قال "وأما مدينة بغداد الموصوفة بتلك الأوصاف التي ذكرناها، فهي واقعة في الجانب الغربي من دجلة، ولم يبق منها إلا بعض من محلة الكرخ وما يتصل به، وقد خربت واندرست آثارها، فلم تبق قصورها ولا سورها ولا قنواتها ولا أبوابها وصارت بلاقع والله الباقي "[22]، فهو لم يقل أنها هي محلة الكرخ نفسها، وإنما أصعد موقعها قليلا باتجاه الشمال الغربي، إلى الأرض الخالية من العمارة يوم ذاك بين الكاظمية والكرخ، وهذا تصور خططي سليم تماما، وإن لم يمكنه، بعد ذلك، من تحديد المسافة التي كانت تحتلها المدينة المذكورة بين الموقعين فجعلها تشمل جزءا من الكرخ في أيامه، وقد أدى ذلك، من ثم، إلى تصور أن الرصافة التاريخية التي اختطها المهدي في الجانب الشرقي إزاء مدينة المنصور المدورة، هي نفسها بغداد الشرقية كما عرفت في عهده، فقال "والرصافة وربعها الذي عسكر به المهدي هي بغداد في عصرنا هذا، وهي الجانب الشرقي من دجلة"، هذا مع أن الرصافة المذكورة لم تكن تتجاوز محلات الأعظمية. وعلى أية حال فقد وجد هذا التصور انتشارا في العهد التالي، حتى عرف الجانب الشرقي، رسميا، بجانب الرصافة .

---

(٢٢) المصدر نفسه ص ٨٠ .

ومن ناحية أخرى، فإن الحيدري سعى إلى تحديد مواضع أخرى من خطط بغداد أكثر تفصيلاً، مستدلاً عليها بموضع جسرها الوحيد في أيامه، فحينما قرأ ما أورده هلال بن المُحسِّن عن وجود جسر معقود بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي وبين مشرعة الحطابين من الجانب المقابل[٢٣]، تصوَّر أن هذا الجسر هو نفسه جسر بغداد في العصر العثماني، الواصل بين الجانبين، وبنى على هذا التصور نتيجة خططية مفادها أن مشرعة الروايا العباسية، إن هي إلاّ محلة السِّيف قرب جامع السِّيف في العصر العثماني، وأن مشرعة الحطابين، هي مشرعة الكُمْرُك (مبنى المدرسة المستنصرية قديماً) وأنها تشمل رأس الجسر وجامع الآصفية. وهكذا فإنه لم يتخذ القبور وحدها دليلاً خططياً كما فعل سابقوه، وإنما عدَّ موقع الجسر دليلاً آخر استدل به على محلتين متقابلتين. والاستدلال من حيث المنهج صحيح، إلاّ أن نقص معلوماته التاريخية لم يمكِّنه من معرفة أن جسر بغداد في عهده حديث نسبياً، وهو إلى الجنوب من الجسر العباسي القديم بنحو خمسمائة متر، ومن ثم فإن ما توصل إليه لم يكن دقيقاً.

نالت مسألة تحديد موقع المدينة المدورة اهتمام الباحثين التالين، ففي سنة ١٩٠٨، وضع الآثاريان الألمانيان فردْرِش زاره(Sarre) وآرنِسْت هرزفِيلد(Herrzfeld) كتاباً ضخماً بعنوان (نزهة أثرية في الفرات ودجلة)[٢٤] فأفردا فيه مباحث مهمة في وصف بعض معالم بغداد في عهد زيارتهما لها آنذاك، وقد زوّدا دراستهما بخريطة كبيرة لمنطقة بغداد، تميزت

---

(٢٣) المصدر نفسه ص ٨١.

(٢٤) بالألمانية: Archaologish Reise im Euphrat und Tigris (Berlin 1411 – 1920)

بالدقة والسعة، حيث شمل نطاقها نواحي شمال الكاظمية شمالاً، ومنطقة الكرّادة والدورة جنوباً، وظهرت بغداد المسورة بجانبيها الشرقي والغربي. وقد اكتظت بالمحلات، وأشّرت المنشآت المهمة فيها. ومن المعتقد أن زاره وهرزفيلد استعانا بالخريطة التي كان وضعها فيلكس جونز وكولنكوود سنة ١٨٥٣ [٢٥]، ولاسيما فيما يختص بالمحلات، ولكنهما أضافا بعض المواضع التي لم تُدوَّن في خريطة سلفيهما. والمهم في عمل هذين الباحثين أنهما أثبتا لأول مرة موضع مدينة المنصور المدورة، فوق خريطتهما (وهو الموضع الوحيد الذي أثبتاه من معالم بغداد العباسية الداثرة) وعيّنا في وسطها، قصر الذهب وجامع المنصور. وقد أظهرت الخريطة أن وسط المدينة المدورة تشغله في عهدهما محلة الشالجية، وأن باب الكوفة كان يقع عند جسر الخِر الحديث، وأن باب الشام يقع عند موضع ما يعرف بالغُرابية، وأن سكة حديد برلين - بغداد كانت تخترق المدينة المدورة من شمالها إلى جنوبها على نحو ينصّفها إلى نصفين متساويين تقريبا. ومن ناحية أخرى فإنهما حاولا تصور مجرى نهر دجلة القديم ابان العصر العباسي، وأثبتا أنه يختلف عن مجراه الحالي في مواضع عدة بين سور بغداد الشرقية الشمالي وقصبة الكاظمية، حيث أن جزءاً من المدينة المدورة يقع في قاعه. ورسما ذلك المجرى القديم للنهر على خارطتهما أيضا، فإذا به يبتعد عن أسوار المدينة المدورة بمسافة ما، بينما جعلا مجراه الحديث يخترق جزءاً من أرض تلك الأسوار. ونعتقد أنهما أول من لاحظ ذلك التغير ورسماه على الخريطة. ويمكننا القول بأن هذه الخريطة تعد أول خريطة خططية، طبقت فيها المواقع

(٢٥) مصطفى جواد وأحمد سوسه : دليل خارطة بغداد المفصل (١٩٥٨) ص٢١٥ وتنظر خارطة جونز وكولنكوود في أطلس بغداد لأحمد سوسه .

هذه الخريطة تعد أول خريطة خططية، طبقت فيها المواقـــع القديمـــة علـــى المواضع الحديثة بما يوضح ما آلت إليه تلك المواقع في الأزمان التالية.

خبرات جديدة

ومع بدء القرن العشرين شهد البحث في خطط بغداد منعطفاً جديداً ومهماً، تمثّل بصدور مؤلفات ذات شأن تستند إلى خبرات سابقة في دراسة خطط المدن القديمة، ففي سنة ١٨٩٦ ١٨٩٧ رصدت كلية الآداب بجامعة لايبزك جائزة للبحث في أسماء المواضع في بلاد بابل القديمة، استناداً إلى الجغرافيين العرب الأوائل، وبما أن مصطلح بلاد بابل يعني أيضاً مدينة بغداد وإقليمها، فإن تلك البادرة كانت أول توجه أكاديمي جاد لدراسة خطط بغداد وضواحيها وأنهارها في العصر العباسي. وفي سنة ١٩٠٩ وضع المستشرق مكسمليان شترك (Maximilian Streck) استجابة لتوجيه المؤسسة المذكورة كتاباً بعنوان (خطط بغداد وأنهار العراق القديم) وطُبع في ليدن، بالألمانية، في السنة التالية[٢٦]، فجاء الكتاب معبّراً عما لحق بدراسة الخطط من تقدم في هذا المجال. فقد حلّل مصادر الروايات التي اعتمدها، ووصف طبيعة الأرض التي أنشئت عليها المدينة المدورة وتوسعت فيها، وتحدّث عن إنشائها، وناقش الروايات المختلفة بشأن مساحتها وتخطيطها، وأسماء سككها وأرباضها. ثم انتقل إلى الجانب الشرقي، مبتدئاً بالرصافة، فالقسم الجنوبي من ذلك الجانب وما ضمّه من قصور الخلافة والمحلات والأسواق والعقود والدروب والمدارس والمقابر والأديرة. ويلاحظ أنه عُني بدراسة أنهار بغداد واتجاهاتها بوصفها مقدمة لا مندوحة منها لأية دراسة خططية للمدينة التي أنشئت وسط شبكة معقدة من هذه الأنهار. وزوّد كتابه بمخطط وضعه لمدينة بغداد (استناداً إلى ابن سيرابيون خاصة) رسم

---

(٢٦) وعنوانه الأصلي: Die Alte Landschaft Babylonien nach den Arabischen Geographen. Leiden 1910

فيه موقع المدينة المدورة والأنهار العديدة في الجانبين الشرقي والغربي من دجلة. وأثبت، وفقاً لمواقع تلك الأنهار، أسماء عدد كبير من المحلات والقناطر والقصور والدروب وغيرها. فجاءت دراسته أكثر الدراسات نضجا حول هذا الموضوع حتى أيامه، إلاّ أن لنا أن نلاحظ افتقادها توضيح العلاقة المكانية بين معالم العصر العباسي، وبين خريطة بغداد الحديثة. ويظهر أن استفادته من خرائط بغداد التي رسمها السياح الأوربيون قبله كانت محدودة، فهذه الخرائط احتوت على عدد من الشواخص العباسية الباقية، مثل مقابر قريش (الكاظمية) ومقبرة الخيزران (مشهد الإمام أبي حنيفة) ومقبرة الشيخ معروف الكرخي، ومقبرة الشونيزي (مرقد الإمام الجُنَيد البغدادي)، بينما خلت الدراسة من تحديدٍ لهذه المواضع، فضلاً عن الاستدلال بها على غيرها من المعالم القديمة الداثرة.

وفي الوقت الذي كان شِترِيك عاكفاً على إعداد دراسته، اصدر مستشرق بريطاني هو كي ليسترنج (Guy Le Strang) كتاباً مستقلاً بعنوان (بغداد في عهد الخلافة العباسية)[٢٧]. وعلى الرغم أن كلاً من المؤلفَيْن لم يطلع، عند إعداده دراسته، على عمل الآخر، فإن منهجيهما بديا متشابهين، وهو ما يتمثل في إعادة قراءة النصوص التاريخية والأدبية الواردة بشأن المدينة أبّان القرون الأربعة الأول من تاريخها بخاصة، وإيجاد العلاقات المكانية بين ما تصفه من محلات ومعالم، وذلك في محاولة لتصور

---

(٢٧) عنوانه الأصلي : Baghdad during the Abbaasid Caliphate وقد طبع في اكسفورد طبعة أولى سنة ١٩٠٠ وثانية سنة ١٩٢٤ ويقع في ٣٥٦ ص، ونقله إلى العربية بشير يوسف فرنسيس (بغداد ١٩٣٦).

شكل بغداد وأسلوب تطورها الحضري في خلال تلك الحقبة. ومع أن ليسترنج لم يزر هو أيضاً بغداد، ومن ثمّ لم يتعرّف على ما تبقى من آثارها القديمة ومجاري أنهارها المندرسة، إلاّ أنه تميز عن شتريك برجوعه إلى خوارط جغرافية أعدّها بعض السياح الذين وفدوا إلى العراق في أواخر القرن التاسع عشر، كما استفاد أيضاً من ملاحظاتهم الأثرية بوجه عام، ومع ذلك فإنه وقع فيما لم يقع فيه شتريك من أخطاء، ربما كان سببها طريقة فهمه للنصوص التاريخية، وقلة ضبط الخوارط التي اعتمدها، وخلوها من تفاصيل عديدة، مما كان يمكن أن يُرى ميدانياً حتى ذلك الحين.

لم يدرس ليسترنج خطط المنطقة قبل إنشاء المنصور مدينته، وإنما صرف كل عنايته لدراستها بعد إنشائها، فأثّر ذلك في توجيه بحثه كله، لأنه بعد أن أثبت موقع المدينة بحسبانه قُطب رَحى ما حولها، شرع يعيّن مواقع كل ما يقرأ عنه في المصادر التاريخية، في الأرض الممتدة حوالي المدينة المذكورة. ولا بأس في هذا المنهج فيما يتعلق بالقصور والأسواق والمحلات التي نشأت بعد بناء المدينة فعلاً، ولكنه ليس كذلك عند دراسة شبكة الأنهار المعقدة التي كانت تروي المنطقة، فهذه الأنهار وُجدت قبل بناء المدينة بآماد بعيدة، وكان الأولى أن تُتخذ مجاريها دليلاً على موقع المدينة لا العكس، وبالطبع فإن أي خطأ في تحديد مجاري هذه الأنهار يؤدي إلى حدوث ارتباكات كثيرة في تعيين المواقع الخططية الأخرى التي لا سبيل إلى معرفتها إلاّ ما أخبر عن وقوعها على هذا النهر أو ذاك[٢٨]. ولم يكن لسترنج دقيقاً في رسمه لمجرى نهر دجلة نفسه أو تصوره اياه في العصر العباسي،

(٢٨) انظر دليل خارطة بغداد المفصل ص ٤٠ و٧٠.

وبخاصة في الجزء الواقع إلى الجنوب من المدينة المدورة، مما أوقعه في مشكلة تعيين مصبات الأنهار المتفرعة من نهر الفرات في دجلة. وزاد من حدّة هذه المشكلة تردده في تحديد العلاقة بين نهر عيسى الأعظم، ونهر عيسى المتفرع منه، وتصوره ان الاسمين لنهر واحد، فجعله يسير أولاً بخط مستقيم قاطعاً الجانب الغربي ليصب في جنوب بغداد، ثم ألغى هذا التصور، وجعله يدور حول مدينة المنصور المدورة، ليصب في دجلة جنوبيها بقليل، ولم يكن هذا إلاّ لعدم التفريق بين النهرين : عيسى الأعظم، وعيسى الفرع[٢٩]. وقد لبثت آثار مجرى النهر الأول مرئية حتى عهد متأخر، ولكن ليسترنج لم يطلع على خرائط دقيقة تثبتها، وعليه فإنه اختار لها مجار ومصبات عيّنها بحسب تقديره المستند إلى النصوص التي قرأها، وقد استتبع ذلك ارتباك ملحوظ في تعيين مواضع المعالم الخططية التي قرأها بحسب أيٍ من هذين التصورين.

ويلاحظ أن ليسترنج قَصر بحثه على الجانب الغربي من بغداد دون الشرقي منها، مع أهمية الأخير وكثافة السكن ووفرة المؤسسات فيه ابّان القرون المتأخرة من العصر العباسي بخاصة. والمواقع الخططية التي عينها في الخريطة التي وضعها نمّت عن عدم كفاية دراسة ذلك الجانب، ومن ذلك أنه مدَّ سوق الثلاثاء، وهو أهم أسواق شرقي بغداد، جنوباً حتى أوصله إلى محلة باب الأزَج (محلة السّنك حالياً)[٣٠]، في حين أنه لم يتجاوز أسوار دار الخلافة الشمالية (شارع السموأل حالياً). وبما أنه أفاد من نص ابن بطوطة

---

(٢٩) المصدر نفسه، ص ٧٠ – ٧١.

(٣٠) المصدر نفسه ١٥٤ .

في أن المدرسة النظامية تقع وسط هذا السوق، فإنه جعل النظامية في محلـــة السَّنك غير مُنتبهٍ إلى أن نص ابن بطوطة يشير إلى قرب المدرسة المذكـورة من المدرسة المستنصرية، وهذه المدرسة لمّا تزل قائمة وتصلـــح أن تكـــون علامة دالة على موقع النظامية قربها.

وعلى الرغم مما اعتور كتاب لسترنج من هِنات، فإنه عبّر بجـــــلاء عما حققه علم خطط بغداد من تقدم في المنهج وطريقة الاستدلال بـــالنصوص التاريخية، فتنوع المصادر ووفرتها، وشمولها رحـــــلات عربيــــة وأوربيـــة وشرقية، والإحاطـــة بالمصادر الحديثة حول الموضوع، والعناية بالســـــياق التاريخي لتطـــــور العمران واتجاهاتـــه، وتعيين العلاقـــات بين مختلـــــف المواقع الخططيـــة، والمقابلة الدقيقة بين معطيات النصوص، قدّم الى الباحثين – بلا شك – تجربة غنية بالفـــوائد[٣١]، وقد كان لهذه التجربة، مثلما كـــــان لمحاولة شـــتريك، آثارها المهمة في كتابـــات المعنييـــن بتاريـــــخ بغـــداد وخططهـــا، من الأوربييـــن بخاصـــة، أمثـــال جـــورج ســـــــــالمون G. Salmon[٣٢] ولويس ماســـنيون L. Massignon[٣٣] وريجارد كوك R.

---

(٣١) انظر مصطفى جواد وأحمد سوسه : خطط بغداد القديمة وأثر العالم كاي ليســترنج الإنكليزي للتعريف بها ورسم خرائطها، جريدة العراق _ بغداد في ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٠.

(٣٢) في مقدمته لترجمته الفرنسية لمقدمة تاريخ الخطيب .

Salmon Georges. L' Introduction Topographique a' l' Histoire de Baghdad d' Aboa . Baker Ahmed ibn Thabit al – Khatib al – Baghdadi (392 – 463 H . = 1002 – 1071 J – C) . (paris . 1904 . IV . 207 . 93 p) . Arabic Text with notes and French Translation) .

(٣٣) Massignon . Louis : Mission en Mesopotamie (Paris – 1908) .

Cock [٣٤] وغيرهم . أما آثارها على دراسات العراقيين المحدثين فلم تظهر إلاّ بعد وقت غير قصير كما سنرى .

وفي بغداد، شرع السيد محمود شكري الآلوسي (١٢٧٣- ١٣٤٣ هـ/١٨٥٦ - ١٩٢٤م) بإعداد موسوعته عن مدينة بغداد وأعمالها، تحت عنوان (أخبار بغداد وما جاورها من البلاد) وتقع في ثلاثة أجزاء، الأول في " بيان السبب الذي استوجب اختطاط مدينة السلام، وتحديد صقع العراق وتعريف بعض بلاده الشهيرة في الآفاق، وما كان فيه من القصور والدور والمباني التي قاومت صدمات الدهور"، والثاني بعنوان مستقل هو (المِسْك الأذفر) ويختص بتراجم البغداديين المعاصرين، والثالث بعنوان (تاريخ مساجد دار السلام بغداد) ويبحث في المساجد والمدارس والسقايات القائمة في عهده .[٣٥]

عُني الآلوسي في الجزء الأول من موسوعته هذه بتقديم صورة لقرائه عن مدينة بغداد، في عصر ازدهارها، مستمدة من مصادر تاريخية وبلدانية شتى، أبرزها معجم البلدان لياقوت ومقدمة تاريخ بغداد للخطيب، وقد رتّب مواده على هيأة مباحث مستقلة، تناولت تاريخ تأسيس المدينة المدورة، وما كانت عليه بغداد من اتساع وعمارة، وأبرز معالمها الخططية، من قصور ودور ومحلات وأرباض وأسواق ومدارس ومساجد ، فكانت هذه المواد أشبه بمواد معجم لم يكتمل ترتيبه، منه إلى دراسة خططية تتناول

---

(٣٤) Cock . R . Baghdad the City of Peace (London 1985) . ونقله إلى العربية د. مصطفى جواد وفؤاد جميل، وصدر بجزأين (بغداد ١٩٦١ و١٩٦٧).

(٣٥) انظر مؤلفاته ومواطن نسخها الخطية . كتابنا : التاريخ والمؤرخون ٢٩٠ – ٢٩٣

تطور المدينة بوصفها نسيجاً حضرياً واحداً، وعلى وفـــق ســياق زمــاني ومكاني محدد. ومع أن جميع ما أورده في كتابه نقله من مصـــادره دونمـا تغيير يذكر، إلاّ أن الكتاب لم يخل من بعض الآراء الخططية التي عيّن فيـها المؤلف مواضع معالم بادت، من قصور ومحلات ومقابر. وقد استدل عليـها بالشواخص الباقية تارة، وبقاء أسمائها حتى عهده، تارة أخرى، أو بقرائـن تاريخية رآها، فمن ذلك أنه استدل بنص ابن بطوطة عن وجود المستنصرية في سوق الثلاثاء على موضع هذا السوق نفسه. فقال في معرض كلامه على جسر بغداد "لم يبق اليوم إلاّ جسر واحد وهو المحاذي لسوق الثلاثاء قـرب المدرسة المستنصرية"(٣٦). وتوصل إلى أن محلة القَرَيَّة التي نوَّه بها يـاقوت بوصفها من محلات الجانب الشرقي، هي المحلة المعروفة برأس القُريَّـة (بالتصغير) في أيامه.

وإن التُوثة التي أشار إليها ياقوت أيضاً "هي اليوم خالية من أبنيـة، وأرضها مزرع، وهي شهيرة بهذا الاسم أيضاً "وصرَّح بأن قطيعة أم جعفر" أثرها باق الى الآن بشاطئ دجلة" (٣٧) لكنه لم يحدد موقعها بأكثر من ذلـك، ولم يذكر دليله الى هذا الرأي. وتوصل إلى أن مقابر قريش هـي " مشـهد الكاظمين" حالياً، وأن الخَيْزَرانية "هي قصبة الأعظمية". واعتقد أن مسـجد بُراثا الواردة أخباره في القرون الأولى من تاريخ بغداد هو المعروف بمشـهد المِنْطَقَة، مع أنهما موضعان مختلفان، وقد سبق أن توصل ليسـترنج إلـى اختلافهما. كما أنه ذهب إلى أن قصر التاج، وهو المقر الرسـمي للخلفـاء

---

(٣٦) أخبار بغداد، الورقة ٢٨ (نسخة المكتبة القادرية بغداد).

(٣٧) أخبار بغداد، الورقة ٦٠.

العباسيين المتأخرين "هو المحل المعروف اليوم بالقلعة، وفيه إلى اليوم بعض مباني العباسيين"[٣٨]، ولعله يشير إلى القصر العباسي الكائن في الزاوية الجنوبية الشرقية من القلعة (وزارة الدفاع حاليا) وهذا الرأي سيشاركه فيه السيد محمد سعيد الراوي (كما سيأتي) .

وربما كان كتابه الآخر، في تاريخ مساجد بغداد، أدخل في مجال خطط المدينة، لولا أنه اتبع فيه منهجاً وصفياً بحتاً يقتصر على وصف هذه المساجد (وبضمنها سقايات أيضاً) وتسجيل ما عليها من كتابات أثرية دون أن يمتد بحثه إلى مواقعها من خطط بغداد في العصور السالفة إلاّ قليلاً، كقوله أن محلة نهر المُعلَّى في العصر العباسي هي"الشهيرة اليوم بمحلة سَبْع أبكار"[٣٩] وذلك عند حديثه عن بعض المساجد الواقعة هناك، ولا ندري على أي دليل استند في إطلاقه هذا القول لأن النصوص القديمة تدل على قُرب نهر المُعلَّى الشديد من المدرسة المستنصرية، ومنها إشارته إلى أن المنطقة التي تجاور المدرسة المذكورة كانت مقبرة للخلفاء العباسيين [٤٠] ولعله بنى ذلك على تصور أن الرصافة القديمة (حيث توجد تُرب الخلفاء أي قبورهم)هي نفسها الجانب الشرقي بحدوده المتأخرة، كما ذكر الحيدري من قبل. ولذا فإنه ذهب الى أن القبر الكائن في إيوان المستنصرية هو لبانيها الخليفة المستنصر بالله العباسي، والصحيح أنه دُفن بالرصافة (=الأعظمية) .

---

(٣٨) المصدر نفسه ، الورقة ٣٣ .

(٣٩) مساجد دار السلام بغداد، الورقة ٤٨ (نسخة المتحف العراقي برقم ١٠٦٤) وقد طُبع هذا الكتاب بتصرف الشيخ محمد بهجة الأثري (بغداد ١٩٢٥).

(٤٠) المصدر نفسه ، الورقة ٣٤ .

ونقل من نص أمين الدين مرجان ، منشئ المدرسة المرجانية (جامع مرجان) أن دار الشفاء التي أنشأها هذا الوالي سنة ٧٦٠هـ /١٣٥٨م تقع بباب الغربة، وهو الباب الشمالي لدار الخلافة العباسية ، وأوضح موقع هذه المعالم بقوله أن " دار الشفاء اليوم اتخذها يهودي حانة اللبن وهي الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة ، وباب الغربة هي مشرعة المصبغة" [٤١]، والظاهر أنه سجّل ما كان موجوداً على القهوة المذكورة من نص يفيد ذلك، خاصة وانه ذكر أنه توجد في زمانه كثير من الحوانيت مكتوب عليها أنها وقف مدرسة مرجان ودار الشفاء، والمهم أنه استدل بهذا المعلوم على أمر مجهول، وهو تعيين الباب الشمالية الشاطئية لسور دار الخلافة، اعني باب الغربة، فدل باحثين تالين على تعيين الكثير من المعالم العباسية التي كانت تحفل بها تلك المنطقة .

ومن الواضح أن استدلاله هذا جاء أكثر دقة من تصوره في الجزء الأول من كتابه أن موقع دار الخلافة كان في القلعة، أي في منطقة تبعد شمالاً عن دار الشفاء بنحو كيلو متر واحد.

وتوصل إلى أن محلة باب الشيخ، حيث يقع جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني هي " المعروفة في التاريخ بمحلة باب الأزج" مُستدلاً على ذلك بترجمة الشيخ الكيلاني نفسه .[٤٢]

وسعى لتحديد مواضع بعض المؤسسات الشهيرة الداثرة، فذكر أن المدرسة النظامية كانت تقع في وسط سوق الثلاثاء، اعتماداً على نص ابن

---

(٤١) مساجد دار السلام بغداد ، الورقة ٨٠ .

(٤٢) المصدر نفسه ، الورقة ٥٢ .

بطوطة. وإذ ذكر أن هذا السوق كان محاذياً لجسر بغداد الوحيد في أيامه، تأسيساً على النص المذكور أيضاً بأن النظامية كانت تقع قريبة من المستنصرية، فإنه توصل – باستدلال صحيح – إلى أن المدرسة النظامية كانت تقع وسط منطقة الأسواق والخانات حوالي المستنصرية، فكان أول من فعل ذلك .

وزاد الأمر تحديداً بقوله أن "ساحتها الكبرى قد أصبحت اليوم مسكنا لأراذل اليهود .. ولم يبق منها سوى بقايا مئذنة "[٤٣] ولكنه لم يوضح مكان هذه البقايا وعلى أي نص استند في هذا الاستدلال .

وحينما لم يجد ما يستدل به على تاريخ انشاء جامع ما، فإنه كان يصرح بقدم هذا الإنشاء، وإنه كان سابقاً على تاريخ أول تجديدٍ معروف له، وبهذا فإنه فتح الباب أمام الباحثين التالين للبحث في هوية المنشآت القديمة، التي كانت قائمة في مواضع هذه الجوامع ابان العصر العباسي وما بعده، كقوله عن جامع الآصفية أنه كان قد اتخذ المولوية اياه تكية لهم (وقد جرى ذلك سنة ١٠١٧هـ / ١٦٠٨م) "من المساجد القديمة "، فكانت تلك اشارة استدل بها باحثون على أنه كان قبل ذلك داراً للقرآنْ تابعاً للمدرسة المستنصرية. وذكر عن جامع حسن باشا الجديد (جامع السراي) أنه كان قبل تعمير حسن باشا له مسجداً صغيراً قد أشرف على الخراب ، فساعد هذا القول باحثين تالين على التوصل إلى تاريخه في المراحل السابقة. وهكذا الأمر بالنسبة إلى جامع الفضل، والجامع النعماني، وجامع الوزير ، ومسجد

---

(٤٣) المصدر نفسه ، الورقة ٩٣ .

الاسماعيلية، ومسجد التسابيل، وجامع الحنّان، وجامع الشيخ صندل، وجامع قُمرية، ومسجد السّيف، وغير ذلك.[٤٤]

الأستدلال بالشواخص

عَبَّرت الكتابة في " مساجد بغداد " عن ظهور اتجاه جديد في دراسة خطط المدينة، لم يتخذ القبور الشاخصة محوراً له فحسب، وإنما مضى ليتناول كل منشآتها العامة القديمة، وكانت المساجد وبعض المدارس القديمة والسقايات أبرز تلك المنشآت، ولذا فقد عُني مؤلفون بغداديون بالكتابة في هذا المجال إما على هيأة كتب مستقلة، أو بشكل فصول من كتب عامة في تاريخ بغداد، فبعد أن وضع الآلوسي كتابه الرائد في مساجد بغداد ، كتب عباس بن جواد بن عبد الله البغدادي (كان حياً سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م) و هو مثقف نال تعليماً جيداً على يد علماء مدينته، وأبرزهم الآلوسي نفسه[٤٥]، فصلاً مهماً في هذا الموضوع ضمن كتابه الذي عنونه (نيل المراد في أحوال العراق و بغداد) [٤٦] .

---

(٤٤)المصدر نفسه ، الأوراق ١٨ و ١٩ و ٤٩ و ٥٩ و ١٢٣ و١٢٦ و ١٣١.

(٤٥) ترجمته في كتابنا التاريخ والمؤرخون ٢٧٠ .

(٤٦) مخطوط منه نسخة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ببغداد بخط المؤلف سنة ١٣٣٣هـ/ ١٩١٤م ، ٣٣٥ص برقم (٩٥) و أخرى في مكتبة المتحف العراقي نقلت عن سابقتها سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م ، ٥٠٦ص ، برقم (٩٠٩٣) و قد قمنا بتحقيق الفصل الخاص بمساجد بغداد ومشاهدها و التعليق عليه و نشرناه بعنوان (مساجد بغداد و مشاهدها في آخر العصر العباسي) في مجلة الرسالة الإسلامية التي تصدرها وزارة الأوقاف في العراق ، العدد ١١٧ – ١١٨ (تموز – آب ١٩٧٨ م) ص ٣٨- ٤٨ و

وقد استعرض هذا المؤلف مساجد بغداد ومدارسها وما تضمه من قبور، ووصف هيآتها أحياناً، ومن تولى التدريس فيها، ونوّه بأسماء منشئيها، أو مجدديها في حالات قليلة. وليس فيما كتبه أية آراء أو استدلالات خططية باستثناء قوله أن جامع الخلفاء كان هو المسجد الجامع في زمن الخلفاء العباسيين، وهو رأي صحيح إذا ما أراد الخلفاء المتأخرين منهم بخاصة. وقوله أن القبر المعروف بالشيخ إسحاق الواقع في معبد اليهود قرب جامع قنبر علي، هو للإمام أبي إسحاق الشيرازي (مدرس النظامية المتوفى سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) وهذا الرأي سيردده مؤرخون تالون كما سنرى[٤٧]، وتصريحه بأن في أعلى سوق باب الأغا مسجد صغير متروك فيه قبر السّندي بن شاهك صاحب شرطة العباسيين في خلافة المنصور والرشيد والمأمون،[٤٨] مع أنه لا نصوص تشير إلى موضع دفنه أصلاً، و ذكر _ متبعاً رأي الآلوسي _ أن مشهد المِنْطَقة هو نفسه جامع بُراثا المندثر، وأشار إلى أنه يوجد في الجانب الغربي من دجلة "مقام من آثار الخلفاء العباسيين يقال أنه مقام سيدنا الخضر وقد استولت دجلة عليه" والظاهر أنه يقصد الرباط الذي أنشأته السيدة سلجوقة خاتون الأخلاطية زوجة الناصر لدين الله على ضفة دجلة سنة ٥٨٤هـ و الذي تحوّل في العهود المتأخرة إلى تكية خاصة بأتباع الطريقة البَكْتاشية.

العدد ١١٩ –١٢٠(أيلول - ١١٩٧ ٨م.ص٦ ٤-٧ ٢ و العدد١٢ ١ -١٢ ٢(كانون الأول - كانون الثاني ١٩٧٩م) ص ٨٣ - ٩٤.

(٤٧) الرسالة الإسلامية ، عدد ١١٩-١٢٠ ، ص٦٧ .

(٤٨) العدد نفسه ، ص٧١ .

وكتب مؤلف بغدادي آخر، هو عبد الحميد بن بكر صدقي بن الحاج إسماعيل عباده (١٣٠٩هـ- ١٣٤٩هـ/١٨٩١م-١٩٣٠م)[٤٩] كتابا شاملا في الموضوع نفسه، بعنوان (العقد اللامع في آثار بغداد و المساجد والجوامع). وقد سجل هذا الكتاب تطورا آخر في مجال الكتابة الخططية، فمؤلفه لم يكتف بالإفادة مما على مساجد بغداد و جوامعها من نصوص - كما فعل الآلوسي - وإنما اجتهد في التوصل إلى ما كانت عليه في العصور الماضية. كما أنه لم يقصر كلامه على الجوامع و المساجد والسقايات فحسب، وإنما شمل بحثه آثار بغداد الأخرى : أبوابها وأسواقها وأسوارها وأبراجها وغير ذلك، فجاء الكتاب في ثلاثة مجلدات كبار حافلة بالآراء الخططية المهمة، من ذلك مثلا استدلاله بالرأي القائل بأن القبر المنسوب إلى الشيخ إسحاق هو للشيخ أبي إسحاق الشيرازي (وقد تقدمت الإشارة إليه) وعلى أن الكنيس الذي يقع فيه هذا القبر إن هو إلا المدرسة التاجية التي أنشأها تاج الملك مستوفى مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي في محلة باب أبرز سنة ٤٨٢هـ و ذلك اعتمادا على نص ياقوت بأن المدرسة التاجية كانت ملاصقة لقبر الشيخ أبي إسحاق الشيرازي المذكور. وبناء على هذا الاستدلال فقد توصل إلى أن السوق الذي يقع فيه هذا القبر والكنيس ، وهو المعروف في عهده بسوق الدجاج، كان

---

(٤٩) ولد في خانقين . و عمل في بغداد كاتبا في المحكمة الشرعية . واستفاد من مطالعته وثائقها . فنشر بعض المقالات عن خطط بغداد القديمة. فضلا عن كتاب العقد اللامع. انظر عن اثاره : التاريخ و المؤرخون ٢٩٩ و كوركيس عواد و عبد الحميد العلوجي : جمهرة المراجع البغدادية (بغداد ١٩٦٢) ص ٢٣٦.

امتداداً لمحلة (باب أبرز) الغابرة، وهذا كله استدلال لم يسبقه إليه أحد[٥٠].

وتوصل إلى أن المشهد المعروف في عهده بقاضي الحاجات، الكائن في محلة الشورجة، هو لقاضي الخافقين أبي بكر محمد بن أحمد الشهرزوري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٠م ، وأن مسجد برهان الدين منسوب إلى أبي الفتح أحمد بن علي بن محمد الوكيل المعروف بابن برهان مدرس النظامية المتوفى سنة ٥٢٠هـ/١١٢٦م ، وأن مقبرة الشونيزي الكبير هي مقبرة معروف الكرخي. وانتقد قول بعض معاصريه بأن القصر الذي في القلعة، والمعروف بالقصر العباسي، هو قصر المأمون، وبهذا فقد نفى أن تكون دار الخلافة هي القلعة، كما نوه الآلوسي من قبل في أخبار بغداد (و من المحتمل أنه أول من فعل ذلك[٥١]) ولكنه ذهب إلى أن جامع الخلفاء ليس إلاّ جامع الرصافة الذي بناه المهدي العباسي سنة ١٥٩هـ، وهو رأي ردده في عهده بعض الباحثين تأسيساً على أن الرصافة هي بغداد الشرقية التي ظلت تحتفظ بأسوارها حتى أواخر العصر العثماني. ولم ينتبه عباده إلى أن تقريره هذا الرأي من شأنه أن يتناقض مع استدلالاته الأخرى، وسبب ذلك - فيما نرى - أنه لم يُعْنَ بتحديد العلاقات المكانية بين معالم العصر العباسي وتطبيقها على خريطة بغداد الحديثة. وعلى أية حال فإنه قدّم وصفاً دقيقاً لعشرات من المساجد الصغيرة والقبور المتناثرة والسقايات المنتشرة في جانبي بغداد وغير ذلك من المعالم، مما يقدّم مادةً مفيدة لدارسي خطط المدينة

---

(٥٠) العقد اللامع ، الورقة ١١٥.

(٥١) المصدر نفسه ، الورقة ٤٦ .

الأخرين، بيد أن أثر هذا الكتاب ظل محدوداً للغاية بسبب احتجاز نسخته الوحيدة في خزانة خاصة فلم يطلع عليها أحد حتى وقت قريب(٥٢).

ظل الاجتهاد في حقيقة هذا المعلم الخططي أو ذاك، مدار نقاش المعنيين بتاريخ بغداد في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، وطفقت الصحف البغدادية تنشر على صفحاتها آراء وردود ومناقشات عديدة حول مثل هذه الموضوعات التي أخذت تستقطب اهتمام فئات جديدة من القراء. ففي تلك المدة، كتب السيد محمد سعيد بن عبد الغني الراوي البغدادي (١٣٠٠-١٣٥٤هـ/١٨٨٢-١٩٣٦م)(٥٣) كتاباً في تاريخ مساجد بغداد، كما نشر عدداً من المقالات في خطط بغداد رد بها على بعض ما كان مطروحاً من آراء حول جانب من المباني والمواضع القديمة(٥٤). وكان مما دعاه إلى ذلك ما حصل من الاضطراب في مواضع الجوامع و المساجد بسبب عدم ايضاح مواقعها فيما مضى، فغدا الجامع الفلاني مثلاً يوصف بأنه الجامع الفلاني

---

(٥٢) آلت نسخة المؤلف الخطية إلى خزانة المحامي عباس العزاوي ولبثت هناك حتى وفاة الأخير وانتقالها إلى مكتبة المتحف العراقي. وقد فرغنا من تحقيقها والتعليق عليها منذ سنة ١٩٧٩ وهي معدة للنشر.

(٥٣) عالم بغدادي نابه، كان له نشاط سياسي ضد سياسة التتريك في أواخر عهد الدولة العثمانية، ثم ضد سياسة الاحتلال البريطاني، نفي على أثره إلى الهند، ثم عاد إلى العراق حيث عمل مدرساً للعلوم الدينية، ثم أستاذاً في جامعة آل البيت، و عضواً في مجلس التمييز الشرعي، وله مؤلفات مهمة في التاريخ و التراجم و الفقه و غيرها. ترجمنا له في مقدمة كتابه (تاريخ الأسر العلمية) الذي حققناه (بغداد ١٩٩٧).

(٥٤) مخطوط بخط مؤلفه نعمل على تحقيقه و نشره .

مضافا أو موصوفا إلى غير صاحبه، وبغير صفته "[55]. ومع أنه اتبع نفس ترتيب الآلوسي وعبادة في عرضهما لمساجد بغداد، فبدأ بالجانب الشرقي من شماله إلى جنوبه، ثم بالجانب الغربي،فإنه تميز عنهما بكثرة الآراء الخططية الجديدة مستدلا بالمواضع المعلومة على ما هو غير معلوم منها، من ذلك أنه قدم أول تحديد لمواضع محلات الإمام أبي حنيفة والرصافة والخضريين ودار الروم على أنها لم تتجاوز منطقة الاعظمية الحديثة، مطبقا في ذلك ما قرأه في معجم البلدان لياقوت، مادة (الرصافة)، من أنها كانت ملاصقة لمحلة أبي حنيفة التي فيها قبره، فاستدل بالقبر الشاخص على أن تلك المحلات كانت قريبة منه[56]، وهكذا تم له نقض التصور الذي كان سائدا ومفاده أن الرصافة تشمل الجانب الشرقي كله. ومن ناحية أخرى فإنه رأى - موافقا في ذلك سابقه الحيدري - أن الجسر العائم المربوط بين رصيف الكمرك القديم (مبنى المدرسة المستنصرية) ومحلة السيف "لم يزل منذ القدم هذا محله "[57]، وعليه فإنه وافق ا[illegible]لال الحيدري أيضا في أن محلة السيف، هي مشرعة الروايا، وإن ما يقابلها من الجانب الشرقي هو مشرعة الحطابين، ولكنه أضاف إلى هذا الاستدلال تصوره أن المشرعة الأخيرة لا بد أن تكون مجاورة لحظائر الشوك للعلاقة بين ما يباع فيهما، فتوصل بذلك إلى أن جامع الحظائر المنسوب إلى تلك المحلة، هو نفسه جامع الخفافين الواقع في أسفل المدرسة المستنصرية، وهذا استدلال صحيح بغض النظر عن مقدماته، وقد

---

(٥٥) الراوي : مساجد بغداد ، الورقة ١- ٢ .

(٥٦) المصدر نفسه ، الورقة ٤٦ .

(٥٧) المصدر نفسه ، الورقة ٨٨ .

أكده فيما بعد عدد من الباحثين. ولما كان قد أكد القول بأن محلة باب الأزج العباسية هي محلة باب الشيخ في العهود المتأخرة، وأن المقبرة الكائنة في جامع الشيخ عبد القادر هي "المقبرة المعروفة في التاريخ بمقبرة باب الأزج"[٥٨] فقد سهل عليه القول بأن جامع الخلاّني القريب من جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، كان يقع في محلة الحلبة المعروفة في العصر العباسي، تأسيساً - فيما يبدو - على قول ياقوت بأنها "عند باب الأزج" وهو استدلال صحيح سيجد من يتبناه من الباحثين التالين.

وساهم الراوي في النقاش الذي كان دائراً في بعض الصحف البغدادية حول أصل جامع الخلفاء (جامع سوق الغزل) بوصفه موقعاً مركزياً يتوسط بغداد الشرقية، ويمكن أن يكون دليلاً على مواقع أخرى غيره. فاستنتج من كتابة أثرية على مئذنته تشير إلى اسم الخليفة المستنصر سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٥م، كونه أنشئ في هذا التاريخ، ونفى أن يكون هو جامع المهدي الذي بناه في الرصافة (وكان هذا الرأي قد ورد في النسخة المطبوعة من كتاب مساجد بغداد للآلوسي) بعد أن توصل إلى تحديد معنى الرصافة نفسها، كما تقدم. ومن ناحية أخرى فإنه لم يؤيد الرأي القائل بأنه جامع القصر الذي أنشأه المكتفي عند دار الخلافة، ولم يكن موقفه هذا إلاّ ليؤكد ما توصل إليه من ملاحظات حول موقع دار الخلافة، وهي الملاحظات التي خرج منها برأي تميز به عن جميع الباحثين في هذا المجال (باستثناء الآلوسي في أخبار بغداد) وخلاصة رأيه أن تلك الدار كانت تحتل أرض القلعة (وزارة الدفاع) في أعلى بغداد الشرقية، وقد بنى على هذا الرأي

---

(٥٨) الراوي، مساجد بغداد، الورقة ٣٣.

قوله أن باب المعظم القريب منها، إن هو إلاّ باب الشجرة أحد أبواب دار الخلافة، وبذا فإنه عدّ المعالم الخططية التي وردت الإشارة إليها في مصادر العصر العباسي بأنها في شمالي دار الخلافة ، بوصفها في شمالي بغداد نفسها، وبناء على هذا فإنه جعل محلة باب المراتب، وهي في القسم الجنوبي من دار الخلافة، في أرض محلة جديد حسن باشا، والمدرسة النظامية في مكان المدرسة الإعدادية العسكرية (التي تحولت إلى دار للمحاكم المدنية وتقع في جنوبي القشلة) والمسجد الصغير التي ذكرت النصوص أنه في باب المراتب، بأنه هو جامع جديد حسن باشا، وأن القصر الحسني (قصر المأمون) الذي كان يتوسط دار الخلافة ، هو مبنى (القصر العباسي) في القلعة، وأن جامع القصر هو جامع القلعة الكائن في نطاق أسوارها. والظاهر أنه اعتمد رأي الآلوسي الأول في كون دار الخلافة قد شغلت أرض القلعة الحالية، أو أنه قدّر أن قصراً فخماً كالقصر العباسي في القلعة لا بد أن يكون من قصور تلك الدار[٥٩]، و من ثم اتخذ من هذا التقدير نقطة دلالة على غيره من المواضع الخططية غير المعلومة، ونعتقد أن هذه النقطة لم تكن تستند إلى أدلة خططية بقدر ما كانت تقوم على فرض مُسْبق ، وهكذا فإن ما تأسس عليها من نتائج لم يكن يتفق مع قرائن و أدلة أخرى كما سنرى .

و فضلاً عن ذلك فقد توصل الراوي إلى تحديد دقيق لعدد من المواضع الخططية الداثرة ، وأسماء لمحالٍ منسية ، كقوله أن جامع الرصافة الذي أنشأه المهدي كان يقع فوق بستان هيبت خاتون عند بستان الوقْف في

---

(٥٩) المصدر نفسه ، الورقة ٥٢ ، ٨٤ .

الأعظمية[٦٠]، وأن محلة قصر عيسى العباسية في الجانب الغربي هي محلة خضر الياس. ويسجل له أنه أول من استرجح أن يكون الضريح الفخم بالقبة المخروطية المنسوب للسيدة زبيدة زوجة الخليفة الرشيد في الجانب الغربي، هو للسيدة زمرد خاتون (المتوفاة سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م) زوجة الخليفة المستضيئ بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله .

و إذا كان ليسترنج قد نفى أن يكون هذا الضريح للسيدة زبيدة اعتمادا على خبر احتراق تربتها في مقابر قريش (الكاظمية) سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م فإن الراوي قد توصل إلى هوية صاحبة الضريح الحقيقية[٦١]. وأيد باحثون تالون هذا الاستدلال وعززوه بما وصل إلى أيديهم من قرائن و نصوص .

و ثمة آرا أخرى كثيرة أوردها الراوي في مقالاته التي كان ينشروها في الصحف البغدادية[٦٢]، ثم في كتابه المخطوط عن مساجد بغداد، وهي جميعا تثبت، مهما كان موقفنا منها، أهمية الجهود العلمية التي بذلها في مجال خطط بغداد .

---

(٦٠) المصدر نفسه ، الورقة ٤٦ .

(٦١) مقالة بعنوان (مسجد الست زبيدة) نشرت في جريدة البلاد، بغداد ، ٢٥ تموز ١٩٣٥ .

(٦٢) تنظر مقالاته (دار المسناة) في جريدة البلاد ١٥ اب و ٣ و ٢٤ تشرين الأول و ١٥ تشرين الثاني ١٩٣٥ ، و مقالاته المعنونة (نقد في التاريخ) جريدة العراق - بغداد ٣٠ و ٣١ تموز ١٩٣٤ و ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ٧ و ٩ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ٢٠و٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ آب ١٩٣٤ .

وكان ممن استهواهم البحث في خطط بغداد، ابان العقد الثاني من القرن نفسه، الشيخ محمد صالح بن محمد سليم السهروردي العباسي البغدادي (المتوفى سنة ١٩٥٧م) وكان إذ ذاك إماماً في جامع الشيخ عمر السهروردي. وفي الواقع فإن الشيخ كان ينحدر من أسرة برز منها عدد من المؤرخين الذين صنفوا رسائل في تاريخ بغداد خاصة، فاتخذ من آثارهم موضوعات مختلفة نشرها في صحف بغدادية شتى. وأبرز مؤلفاته في هذا الصدد كتابان ما زالا في عداد المخطوطات، أولهما وأوسعهما مادة كتابه (أعمال الأجداد في محلات ومعاهد وآثار وقطائع و قصور وسويقات وأسواق دار الخلافة بغداد) وقد فرغ من تأليفه سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م . أما الآخر فخاص بمساجد بغداد، سماه (بغية الواجد في جوامع بغداد والمساجد) و نظنه ألفه بعد الأول ، حينما اشتغل مفتشاً للمعابد في وزارة الأوقاف .

تقع مخطوطة (آثار الأجداد) في مجلدين كبيرين ، مجموع صفحاتها ٨٤٥ صفحة، وقد رتّبه مؤلفه على هيأة المعجم، فأورد فيه، على الحروف، مباحث متعددة في محلات بغداد وأنهارها وأرباضها وبِركها ومدارسها ومساجدها ومقابرها ودياراتها وأسواقها وغير ذلك. وقد نقل معظمها من مقدمة الخطيب البغدادي، ومعجم البلدان لياقوت، وبعض المصادر التاريخية الأخرى، إلاّ أن المهم في الأمر اجتهاده في تثبيت مواقع تلك المعالم من بغداد الحديثة، فأورد آراء خططية عديدة، منها أن نهر الصراة هو النهر المعروف بالمسعودي، والذي اندثر في أوائل القرن العشرين. وان قرية سُونايا الموجودة قبل إنشاء بغداد تقع "بجهة مشهد زبيدة أم جعفر"، والصحيح

أنها (المِنْطَقَة) الحالية[٦٣].وان محلات مدينة المنصور كانت "فـــوق الســت زبيدة" وهذا تقدير صحيح. وان محلة الصالحية في العصر العباســـي هــي نفسها محلة الصالحية المعروفة في الحقبة المتأخرة، مع انه لا علاقـــة بيــن المحلتين إلاّ بالاسم . وأن محلة البَصَلية "تقع متصلة بباب كُلْواذى" وهو رأي سليم ، وأن النّحاسية تعرف اليوم " بتل أسود ومـــا جــاوره مــن أرض أم الطبول".

وان محلة باب أبرز " تعرف اليوم بعقد اليهود أو سوق حنُّون " وأن محلة الظَفَرية (تعرف اليوم بفَضْوَة قَرَه شعبان)[٦٤]. وان مقبرة بـــاب أبـــرز "في موضع محلة البو شِبِل وما يجاورها من سوق أبو سيفين اليـــوم "، وأن محلة باب التبن، حيث دُفن عبد الله بن أحمد بن حنبل "هــــي الآن خـــراب، صحراء يزرع فيها الزرع ، و بها بساتين عظيمة كثيرة"، وأن مشهد بــــاب التبن هو نفسه مشهد الإمام موسى الكاظم ، وأن المدرسة التُتُشية التي أنشأها خَمّارتَكين مولى الأمير تُتُشْ بن آلب آرسلان سنة ٥٠٠هـــــ " هــي محلــة الدَشْتي برمتها .. و"المنارة المقطومة التي لم يبق منها غير كرســـيها هـــي لجامع المدرسة المذكورة ، لا من توابع ومتممات المدرســـة النظاميـــة[٦٥]". ورجح أن تكون النظامية في أرض " سوق الصُفافير اليوم ومـــا يليـــه مـــن جانبيه من أبنية وخانات ودور كان كل ذلـــك ســـاحة النظاميـــة ومســـجدها وأروقتها" وهو ترجيح قريب من الصحة، إلاّ أنه واسع غير محدد، والصحيح

---

(٦٣) أعمال الأجداد ٢٢٨ .

(٦٤) المصدر نفسه ٦١ .

(٦٥) أعمال الأجداد ، ٤٣_ ٤٤ .

أن النظامية كانت تحتل جزءاً مما يلي ذلك السوق، لا كله. ورجَّح أن تكون دار الخيل وهي إحدى دور الخلافة هي محلة المُرَبَّعة في الجانب الشرقي، و لم يذكر دليله إلى ذلك[٦٦] . وأن تكون محلة الرَّمْلَة في مكان مستشفى المجيدية (مدينة الطب حالياً) وما يليه من جهته الغربية[٦٧]، والصحيح أنها من محلات الجانب الغربي المقابل لهذه المواضع. و ذكر أن الزبيدية " لم تزل بعض آثارها اليوم موجودة عبارة عن عدة تلول تتراءى للذاهب إلى بلد الكاظمية والآيب منها ، وهذه التلول بالقرب من دجلة بجوارها خفر الشوطة وأغلب هذه المحلة ذهب في دجلة "[٦٨] وهذا التحديد يتفق والقرائن الخططية الأخرى تماماً ، ويشير إلى حقيقة تغيير مجرى دجلة مجراه في تلك الناحية، وإن لم نعلم على أي شيء استند في التوصل إليه. وذكر أن سوق العطش هي اليوم بين الأعظمية والرصافة (يريد بغداد الشرقية) وهو تقدير صحيح أيضاً، ومثله قوله أن مقبرة باب الشام " هي اليوم عن غربي الشيخ معروف الكرخي" [٦٩] وأن المواضع المعروفة في أواخر العصر العباسي بعقار المدرسة النظامية "هي اليوم شارع الجسر الغربي (جسر الشهداء) من الرصافة و عموم الدور والخانات التي عن شماله، وربما كانت هذه المحلة أيضاً تشمل الدور والخانات أيضاً ووزارة المعارف (مبنى المتحف البغدادي) التي عن يمين الشارع المذكور"[٧٠]، وان محلة المختارة

---

(٦٦) المصدر نفسه ١٣٠ .

(٦٧) المصدر نفسه ١٤٤ .

(٦٨) المصدر نفسه ١٩٧.

(٦٩) أعمال الأجداد ٢٩٢ .

(٧٠) المصدر نفسه ٤٥١.

"تقع اليوم بمحلة بني سعيد و عقد القِشل " وأن من بقايا مقبرة باب الفيـــل " فسحة الصدرية "[71] .

وأما كتابه الآخر (بغية الواجد)[72] فقد وضعه كالمُستدرك على كتـاب مساجد بغداد للآلوسي، وعرض فيه آراءه فـــي تعييـن بعـض المواضــع الخططية القديمة، فذكر أن قبر الشـــيخ علـــي البطـــائحي المتوفـــى سـنة ٥٧٢هـ/١١٧٠م هو الذي شُيِّد عليه مسجد الشيخ علـــي فـــي الكـرخ [73]، والصحيح أنه قبر الشيخ علي الجبوري من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م). وأشار إلى أن مسجد أبي سيفين بشرقي بغداد هــو لإبراهيــم أبـــي سيفين الزيلعي[74] العقيلي اليمني، معتمداً على ترجمة له في خلاصة الأثـــر للمحبي، مع أنه لا وجود لهذه الترجمة في الكتاب المذكور. و ذكر أن ظهير الدين، المدفون في المسجد المنسوب إليه ، قرب المُربَّعة شرقي بغداد ، هـــو الشيخ الظهير أحمد بن عبد القادر الجيلي[75] مع أنه لا نص يؤيد ذلك . و أن رباط سعادة الشهير في العصر العباسي منسوب للشيخة سعادة بنـــت عبـد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني[76]، والصحيح أنه منســوب لمؤسســه الأمير سعادة الرسائلي المتوفـــى سـنة (٥٠٠هــــ/١١٠٧م) . وأن القــبر المنسوب إلى النبي يوشع، في مقبرة الشيخ جنيد بغربي بغداد، هو لتاج الدين

---

(٧١) المصدر نفسه ٤٧٣.

(٧٢) فرغت من تحقيقه و التعليق عليه و هو الآن معد للنشر .

(٧٣) بغية الواجد ، الورقة ١(من النسخة المحققة) .

(٧٤) المصدر نفسه ، الورقة ٥ .

(٧٥) المصدر نفسه ، الورقة ٧ .

(٧٦) المصدر نفسه ، الورقة ٩ .

بن بهاء الدين بن برآن يوشع المتوفى سنة ٧٨٦هـ/١٣٨٤م[٧٧]، وليست ثمة نصوص تؤيد هذا الرأي. وأن مشهد قنبر علي ببغداد هو لأبي طالب نصـر بن علي الناقد الملقب بقنبر من رجال الخليفة المستضيئ بالله العباسـي[٧٨]، و أنِ جامع الغُصن القريب من المشهد المذكور هـو مـن إنشـاء أم الخليفـة المستكفى بالله المسماة (غصن) و لا دليل على هذه الآراء أيضاً[٧٩] .

وفي سنة ١٩٣٠ نشر الشيخ السهروردي في صحـف بغداديـة عـدة مقالات بيَّن فيها آراءه في بعض المواقع الخططية، لعل من أهمها رأيه فـي أن القصر العباسي في القلعة (وزارة الدفاع) هو لأم حبيب ابنـة الخليفـة هارون الرشيد[٨٠]، وقد استند في ذلك إلى تصوره السابق في أن الرصافـة العباسية هي بغداد الشرقية، و إذ قرأ في معجم البلدان لياقوت أن هذا القصر كان يقع على شارع الميدان، فقد تصوَّر أن الميدان المذكور في نص يـاقوت هو الميدان الحالي، قرب القلعة، وأن شارع الميدان هو الشارع النافذ منه إلى نهر دجلة حيث يقع قصر القلعة، ولم يلبث أن ذكر، في مقال آخر، أن قصـو أم حبيب هو المدرسة العليّة (بيت الحكمة حالياً) المجاور للقصر العباسي[٨١]، وقد روَّج بعض الكتاب هذا الرأي فيما بعد دونما تمحيص .

---

(٧٧) المصدر نفسه ، الورقة ٤٠ .

(٧٨) المصدر نفسه ، الورقة ٣٥ .

(٧٩) المصدر نفسه ، الورقة ٣٧ .

(٨٠) مقالته (قصر أم حبيب يؤول إلى مستودع أسلحة ثم إلى المدرسة العليّة ثـم إلـى قصر يسكنه فيصل الأول) جريدة العراق ٢٧ ، ٢٨ حزيران ١ و ٢ تموز ١٩٣٠ .

(٨١) انظر مناقشة هذه الآراء في كتابنا المدرسة في بغداد (بغداد _ دار الشؤون الثقافية ١٩٨٨)

لقد تناول السهروردي في مخطوطاته ومقالاته المنشورة، موضوعات خططية عديدة، امتدت لتشمل مساحة بغداد كلها، وبعض ضواحيها أيضا. ويمكن القول – في هذا الصدد – بأن عددا من آرائه كان صحيحا، أو قريبا من الصحة، على الرغم من عدم عنايته بتوضيح المقدمات التي استخرج منها هذه الآراء، أما ما عداها فلم تكن تخرج عن تصورات لا تستند إلى مقدمات تاريخية، أو لا تقوم على نصوص كافية، وعلى أية حال، فإنه أثار في مقالاته، التي كان ينشرها في الصحف[٨٢]، مناقشات عدة حول ما كان يطرحه من أفكار واجتهادات، أسهمت ولو بشكل غير مباشر، في جذب اهتمام باحثين آخرين للبحث في خطط بغداد وتطورها.

مطارحات خططية

شغلت مسألة تحديد موقع دار الخلافة العباسية في بغداد اهتمام عدد من الباحثين، وأثارت . من ثم نقاشا علميا سرعان ما تفرع ليتناول مسائل خططية عدة، فكان أن كتب باحث عراقي معروف بتدقيقه وسعة اطلاعه، هو يعقوب بن نعمة الله سركيس (١٨٧٦-١٩٥٩) أربعة بحوث مهمة بين سنتي ١٩٢٨ ١٩٢٩ تعرض فيها إلى مسألة تعيين الحد الشمالي من دار الخلافة، وقد استند إلى نص لأبي الفداء يفيد بأن المدرسة المستنصرية " مما يلي دار الخلافة "، وبما أن المستنصرية لما تزل شاخصة، فإن دار الخلافة في جنوبها على دجلة. واستنتج أن يكون باب الغَربة، وهو أول أبواب دار

---

(٨٢) تنظر عنوانات مجموعة من مقالاته الخططية في كتاب كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي:جمهرة المراجع البغدادية(بغداد١٩٦١) ص ١٩٨-٢٠١.

الخلافة من شمالها " في المَشْرَعة التي نسميها اليوم بمشرعة المصبغــة، وأن عندها يبدأ حريم دار الخلافة. ومن ناحية أخرى فإنه استند إلى وجود قـــبر يُنسب إلى الشيخ عبد الرحمن إبن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠١م) في شريعة المربعة ، وإلى قول ابن الجوزي بكون مدرسة الشيخ المذكــور تقع باتصال قصور الخليفة ، وبمقـربة من باب البصلية، للتوصــل إلى انتهاء حريم دار الــخلافة في شـــــريعة المربعـــة أو نحوهـــــــا [٨٣]. واســتدل بنصوص عدة إلى أن جامع الخلفاء (جامع سوق الغزل) هو نفســـــه جــامع القصر المنسوب إلى قصور الخلافة [٨٤]، ومن تحديــد هويـــة هــذا الأثــر الشاخص توصل إلى أن حريم دار الخلافة كان يمتد شرقاً ليتصل بالجـــامع المذكور. وردّ في بحث مستقل[٨٥]على الآراء التي كانت تتردد فـــي بعــض الصحف البغدادية حول كون جامع الرصافة هو أصل جامع الغزل، وذلـــك باستعراضه النصوص التاريخية التي تشير إلى أن موقـــع الرصافــة هــي الأعظمية حصراً . وأيّد استنتاجه بنصوص مهمة اجتزأها مـــن مخطوطــة نادرة ، كتبها مؤرخ بغدادي من أهل القـــرن السابع للهجرة ، ونسبت فيمـــا

---

(٨٣) بحثه بعنوان (حريم دار الخلافة وباب التمر في التاريخ) مجلة لغة العرب جـ ٨ (بغداد ، المجلد ٥ ، ١٩٢٧ /١٩٢٨) ص ٤٤٩ وأعيد نشره في كتابه مباحث عراقيـــة (بغداد ١٩٤٨) ص ١٢٠ وبحثه (قبر ابن الجوزي وقصور الخليفة) لغـــة العــرب ج٥ (المجلد ٧ ، ١٩٢٩) ص ٣٧٢ وأعيد نشره في مباحث عراقية ١/ ٢٤٢ .

(٨٤) بحثه (جامع الخلفاء) في لغة العرب ج٣ (المجلد ٦ ، ١٩٢٨) ص١٧٧ وأعيد نشره في مباحث عراقية ١/ ٢٤٢ .

(٨٥) البحث نفسه .

بعد إلى المؤرخ عبد الرزاق ابن الفوطي [٨٦]. وفي بحث أخر ناقش [٨٧] سركيس رأياً لعبد الحميد عبادة نشره في مجلة لغة العرب البغدادية، مفاده أن قصور الخليفة إنما هي قصور الخُضَريين، فأثبت أن الأخيرة كانت تقع خارج دار الخلافة، لأن منتهى هذه الدار كانت شريعة المربعة، ولا تتجاوز ذلك .

وبين سنتي ١٩٢٩، ١٩٣٥ أثارت مسألة تحديد هوية القصر العباسي الكائن في وزارة الدفاع (قلعة بغداد سابقاً) نقاشاً واسعاً بين عددٍ من المهتمين بخطط بغداد. وتبرز أهمية هذه المسألة في أن من شانها أن تضيف شاخصاً آخر من العصر العباسي الأخير يمكن أن يُستدل به في تعيين مواقع خططية جديدة . وكان ثمة تصور، لا يعلم على وجه التحديد مصدره، يفيد بأن هذا القصر هو قصر المأمون (وبناء على هذا التصور سميت المدرسة الابتدائية المجاورة له بالمأمونية) إلا أن هذا الرأي تعرض إلى نقد علمي من قبل بعض الباحثين، ربما كان أبرزهم مصطفى جواد في مقالةٍ له بعنوان (القصر الذي في القلعة) نُشر سنة ١٩٢٩[٨٨]. ولما لم يكن أحد قد توصل إلى رأي مقنع في حقيقة هذا القصر، فقد تصدى يعقوب سركيس لدراسة هذه المسألة على طريقته في استقراء النصوص المتفرقة وتحليل معطياتها الخططية،

---

(٨٦) هو الكتاب الذي نشره الدكتور مصطفى جواد سنة ١٣٥١ هـ (١٩٣٢م) بوصفه الكتاب المسمى (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) من تأليف عبد الرزاق بن احمد الفوطي المتوفى سنة ٧٢٣ هـ وقد اعدنا تحقيقه ، بمشاركة الدكتور بشار معروف ، وعلقنا عليه بما يوضح مطالبه الخططية (بيروت ١٩٩٧).

(٨٧) بحثه (قبر ابن الجوزي وقصور الخليفة) المشار إليه انفاً .

(٨٨) مجلة لغة العرب ج٨ (١٩٣٠) ص٣٤٣ -٣٤٦ .

وكان نص ابن جبير بأنه رأى الخليفة الناصر "صاعداً في الزورق إلى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط " أول الأدلة على أن هذا القصر كان للناصر، ومن ثم فإنه يرقى إلى أواخر القرن السادس للهجرة. وزاد كتاب الحوادث، المنسوب إلى ابن الفوطي، الأمر إيضاحاً، حيث ترددت فيه الاشارة إلى دار بأعلى بغداد على شاطئ دجلة، بسوق العجم، بالشارع الأعظم،بالقرب من عقد سور سوق السلطان، مقابل درب الملاحين، عُرفت بدار المُسنّاة نسبة للمُسنّاة التي تقوم عليها، فالقصر العباسي إذن هو دار المسناة تحديداً. وأثار نشر هذا الرأي جدلاً بين بعض المعنيين، فبينما ردّ عليه، بعد أيام، الشيخ محمد صالح السهروردي، ذاهباً إلى أنه قصر أم حبيب (وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك)، أيّد مصطفى جواد رأى سركيس في عدة مقالات نشرها بين سنتي ١٩٣١ ـ ١٩٣٣ وسنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٦٢ (كما سيأتي) .

تكامل في المنهج

يعد الدكتور مصطفى جواد (١٩٠٨ ـ ١٩٦٩م) أكثر المؤرخين العراقيين اهتماما بخطط بغداد القديمة ، وأغزرهم نتاجا في هذا المجال، فقد وضع من سنة ١٩٢٩ وحتى وفاته عددا كبيرا من الكتب والبحوث والمقالات والأحاديث الاذاعية والتلفزيونية، تضمنت أكثرها اراء واستنتاجات خططية مهمة. وقد وجه من خلالها نقدا شديدا إلى من عدهم متطفلين على هذا العلم، وسمى أكثرهم (قبوريين) لأنهم ربما عنوا بنسبة قبر ما إلى علم معين لأدنى علاقة، دونما تدقيق كاف، وفهم لتطور المدينة التاريخي. وبالمقابل فإنه حاول - وربما كان أول من فعل ذلك ـ وضع قواعد للبحث في هذا المجال، يحتكم إليها كل باحث يتناول تاريخ خطط بغداد وبخاصة في عصورها العباسية.

ويعد جواد أول من أرخ للبحث في الخطط بوصفه (علما) قائما بذاته، من العلوم التاريخية، وليس مجرد آراء يطلقها بعض المشتغلين في التاريخ أو هواته، وعرف من ثم بجهود المستشرقين الأوربيين في هذا المجال ، وذلك في بحث سماه (خطط بغداد القديمة وأثر العالم كاي ليسترنج الإنجليزي بها ورسم خرائطها)[٨٩]، ولم يكن أثر هذا العالم معروفا بعد في أوساط الباحثين العراقيين بسبب تأخر ترجمة كتابه إلى العربية إلى ما بعد نصف قرن من تاريخ صدوره أول مرة. وكان هو اطلع على طبعته الثانية،

---

(٨٩) أذيع هذا البحث في الإذاعة العراقية ،ثم نشر في جريدة العراق بتاريخ ٢٣ و ٢٥ ، ٢٧ و ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٠ .

بالإنكليزية، الصادرة سنة ١٩٢٥، وبلا شك فإن أثر الكتاب كان واضحاً في كتاباته الخططية بعد هذا التاريخ .

غُني جواد، أول عهده بالكتابة التاريخية ، بتوثيق بعض ما كان مدوناً على مباني بغداد الأثرية من نصوص، فنشر سنة ١٩٢٩ نص " الكتابة التي فوق جامع مرجان "[٩٠] ونص " الكتابة التي فوق خان الأورتمة(= خان مرجان) "[٩١] وفي السنة نفسها نشر أول نقد على كتاب (مساجد بغداد) للآلوسي ، الذي كان الشيخ محمد بهجة الأثري قد نشره[٩٢] وأدخل في متنه وهوامشه بعض آرائه . وسرعان ما قاده ذلك إلى البحث في حقيقة بعض المواضع الخططية القديمة في بغداد ، فنشر في السنوات التالية عدداً من البحوث الصغيرة في تحقيق مساجد ومشاهد مشهورة، مثل القبر المنسوب لابن الجوزي في المربعة[٩٣]، وقبر أحمد بن حنبل في أعلى بغداد الغربية[٩٤]، وقبر الشيخ محمد الأزهري في جامع الخاصَّكي[٩٥]، وقبر عثمان بن سعيد العمري[٩٦]. وشارك في النقاش الدائر يومذاك في الصحف حول حقيقة المبنى المعروف بالقصر العباسي مؤيداً ما ذهب

---

(٩٠) مجلة لغة العرب ج ٧ (١٩٢٩) ص ٦٩٠ – ٦٩٢ .

(٩١)مجلة لغة العرب ج ٧ (١٩٢٩) ٦١٥ – ٦١٧ .

(٩٢) مجلة لغة العرب ج٧ (١٩٢٩) ١٥٧ – ١٥٨ .

(٩٣) مجلة الاعتدال ج ٦ (النجف ١٩٤٦) ٤٨٩ – ٤٩٤ .

(٩٤) جريدة الأخبار في ٧ ، ٨ و ٩ تموز ١٩٤٩ .

(٩٥) مجلة لغة العرب ج ٩ (١٩٣١) ٦١٣ – ٦١٤ .

(٩٦) مجلة العرفان ٢٤ (صيدا ١٩٣٣ – ١٩٣٤) ٢٥٤ – ٢٥٧ و ٣٧٨ – ٣٨٣.

إليه يعقوب سركيس من أنه دار المسناة التي أنشأها الناصر[٩٧]. وسعى إلـــى تحديد موقع المدرسة النظامية بالافادة من نصوص تاريخية جديدة وقف عليها فـــي مظان مختلفة[٩٨]، بل مضى إلى تحديد محلات بأكملهـــا، مثل الكـــرخ والـــمأمونية وباب الأزج والمختارة[٩٩]، متبعا طريقة ليسترنج فـــي تطبيـــق حدود المسميات القديـــمة على خريطة بغداد الـــحديثة. وتوج دراساته هـــذه بخارطتين خطيتين نشرهـــما ملحقتين بالجزء التاسع من كتـــاب (الجـــامع المختصر فـــي عيون التواريخ وأعيـــن السير) لابن الساعـــــي البغـــدادي (المتوفـــى سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م) الذي عُنـــي بتحقيقه ونشره ببغداد ســـنة ١٩٣٤ ، وكان قد أورد فـــي تعليقاته على الكتاب المذكور تحقيقات خططيـــة لمواضع متعـــددة من بغداد فـــي القرن السادس للهـــجرة ، مثل رباط شـــيخ الشيوخ النَيسابوري[١٠٠] وقد قدر موقعه " بمحل خان جغان المعـــروف عنـــد العامة بجغان "، وهو الذي شُيِّد على أرضه ســـوق دانيـــال ، مســـتنداً إلـــى نصوص من كتاب الـــحوادث الـــمذكور آنفاً تفيـــد بقربـــه مـــن منشـــآت معروفة مواضعها كباب الغَربة ودرب السلسلة . وقد قدّر أن الدرب الأخـــير "هو سوق الصفّارين الحالـــي على ما ظهر لنا ومنها مسجد العتيقـــة الـــذي هو مسجد المنطقـــة الحالـــي "، كما فـــي مادة سُونايا من مراصد الاطلاع . والعقَبة وقـــصر عيسى ، والأخير كان "الموضع الذي بنيت فيـــه دار الســـفارة

---

(٩٧) جريدة البلاد ٢١ و ٢٢ شباط و ١٤ آذار ١٩٤٤ .

(٩٨) جريدة العراق ٣٠ كانون الأول ١٩٣١ .

(٩٩) الجامع المختصر ٣٧ .

(١٠٠) المصدر نفسه ٣٨ .

البريطانية من غربـــي بغداد الحاليـــة على ما تحققنا "[١٠١] وبـــاب العامـــة، وحدد موضعه "فـــي غربـــي البراح الذي فيه علاوي الفواكه اليـــوم بســـوق محلة الدهّانة "[١٠٢] وبستان المأمونية، وهو" فـــي الموضع الذي بُنيـــت فيـــه العبا خانة الحالية"[١٠٣] وسوق الســـلطان و"هـــو المعـــروف اليـــوم بســـوق الميدان"[١٠٤] ومنظرة باب الأزج، وتقع تجاه مقبرة عبد العزيـــز بـــن جعفـــر المعروف قديـــماً بغُلام الخَلاّل واليوم بالشيخ الخَلاّنـــي[١٠٥]، ومحلـــة بـــاب البصرة وتقع "غربـــي الجعيفر الحالي بالجانب الغربي من بغداد"[١٠٦] وغـــير ذلك من معالـــم. ولقد دلت هذه التحقيقات على الجهد الكبير الذي بذله جـــواد في إعادة تصور بغداد، كما كانت تبدو خلال قرن واحد من أواخر العصـــر العباســـي. وتوضح الخريطتان، على الرغم من تصحيحه لبعض تفاصيلـــهما فيما بعد، مدى التطور الحاصل فـــي دراسة خطط بغـــداد، منـــذ أن رســـم ليسترنج خريطته في أول القرن العشرين .

وفي العقد الرابع من هذا القرن، نشر جواد أكثر مـــن عشـــر مقـــالات وبحوث فـــي تاريخ خطط بغداد ، بحث فيـــها فـــي مواقـــع مؤسســـات عباسية شهيرة، أو واصل البـــحث فيما سبق أن تناولـــه من قبل فـــي هـــذا

---

(١٠١)المصدر نفسه ٩٥ .

(١٠٢) المصدر نفسه ١١٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ١٤٧ .

(١٠٤) المصدر نفسه ١٩٩ .

(١٠٥) المصدر نفسه ٢٠٣ .

(١٠٦) المصدر نفسه ٢٨٠ .

المجال، ويمكن أن نعد بحثه المعنون (المدرسة النظامية)[107] أنموذجاً جيداً على تحقيقه مواقع الخطط، فهو لم يستقصي ما ورد في موقع النظامية من نصوص فحسب، وإنما عمد إلى استقصاء كل ما ذكر أنه مجاور لها، من دروب وأسواق وخانات ومدارس، وسعى عن طريق معطيات تلك النصوص إلى تحديد العلاقات المكانية بينها، لإقامة تصور شامل عن المنطقة أولاً، ثم البحث في مكان النظامية منها ثانياً. وقد تجمعت لديه من المعلومات ما دله على أن النظامية كانت قريبة من الشط، ولكن ليست مطلة عليه، وإنما تقع في آخر سوق الثلاثاء، يقابلها من الجهة الأخرى من السوق رباط شيخ الشيوخ النيسابوري، الذي هو أقرب إلى دجلة، وأنها كانت قريبة من باب الغربة، وهو الباب الشمالي لدار الخلافة، وقريبة أيضا من مشرعته، وأن بعض الدور التي تلاصقها كانت تطل من الجهة الأخرى على سوق العِطر، وأنها كانت تطل أيضاً على درب يُعرف بالسلسلة .

وبعد أن انتهى جواد إلى تقرير كل هذه الحقائق، شرع في البحث عن موقع كل من تلك المعالم، فتوصل إلى أن باب الغَربة هو عند باب شارع المستنصر الحالي (وكان يعقوب سركيس قد ذهب إلى هذا الرأي من قبل) وأن سوق العِطْر هو سوق الكبابجية الحالي، وأن مشرعة المدرسة النظامية، هي شريعة المصبغة، وأن درب السلسلة هو سوق البزازين الحالي الملاصق لخان جغان (وقد عدل بذلك عن رأيه السابق في كونه سوق الصفافير) وأن رباط شيخ الشيوخ هو خان

---

(١٠٧) مجلة سومر مج ٩ لسنة ١٩٥٣.

الباجه جي المقابل له من الجهة الأخرى من سوق الكمرك القديم ، وهكذا تمت له معرفة حدود المدرسة من أكثر جهاتها، فتأكد له موقعها نفسه. وقد عزَّز نتائج بحثه بخريطة طبق فيها الخطط القديمة للمنطقة على خريطة بغداد الحديثة.

وفي بحوث أخرى، درس جواد مواقع المدارس البغدادية في العصر العباسي، كالمدرسة المُجاهدية، والمدرسة الشَرَفية [١٠٨]. كما بحث في مواقع بعض الربط الشهيرة، ولم يقصر بحثه على حدود دار الخلافة العباسية، كما فعل يعقوب سركيس وغيره من قبل، وإنما مضى يستعرض ما ضمته من قصور ومنشآت تفصيلاً، فبحث في مواقع أبواب سور دار الخلافة، وسور حريم هذه الدار، والمنشآت الداخلة في نطاقها، مثل دار الرَّيحانيين ، والدار المستضيئية، ودار قطب الدين قيماز، ودار الفَلَك الناصرية، ورباط السيدة بَنفْشَة، فضلاً عن أبنية تقع خارجها، مثل الكُشك المستضيئي، ورباط الخدم، ورباط بَهروز الثاني، ومسجد السيدة بنفشة، ومسجد السيدة زُمُرُّد خاتون، ومسجد سوق السلطان . وأكثر هذه المنشآت لم تذكره كتب الخطط القديمة كمقدمة الخطيب ومعجم البلدان، وهي التي طالما اعتمد مادتها وتبويبها المؤرخون العراقيون الذين استعرضنا جهودهم، وإنما استخرج أخبارها من ثنايا مصادر العصر الأدبية والتاريخية، وما استجد على أرضها من منشآت في القرون المتأخرة، فقدَّم بذلك تصوراً شاملاً لخطط القسم الرئيسي من بغداد

---

(١٠٨) جريدة الصراط المستقيم ، العدد ٩٦ (بغداد ١٦ محرم ١٣٥١) ١٤ – ١٥ . والعدد ٩٨ و ٩٩ (بغداد ٨ و ٢٢ صفر ١٣٥١ هـ) .

الشرقية، وأثبت ذلك كله في خريطته السخططية التي ألحقها ببحثه المعنون (عمارات القرن السادس الضخمة في بغداد)[١٠٩]وتشمل المنطقة الممتدة من المخرم (العلوازية) شمالا ، وحتى سور دار الخلافة جنوبا . وتكشف هذه الخريطة عن الجهود التي بذلها جواد في تصحيح مواقع المنشآت والمحلات مما ورد في خرائطه السابقة والوصول بها إلى صورة أقرب إلى الوضوح والاكتمال.

وفي سنة ١٩٥٠ اشترك جواد مع باحثين آخرين، هما أحمد حامد الصراف (١٩٠٠-١٩٨٥) والدكتور أحمد سوسة (١٩٠٠ -١٩٨٢) في وضع أول خريطة مفصلة من نوعها لبغداد عبر عصورها المتعاقبة بعنوان "خارطة بغداد قديماً وحديثاً" (نشرها المجمع العلمي العراقي بلونين سنة ١٩٥١). وفي الواقع فإن لقاءه بسوسة، كان في هذا التاريخ، مؤذنا بتطور جديد ذي شأن، في المجال المذكور، فقد كان الأخير مولعاً بحكم تخصصه، وبحكم وظيفته مديراً للري، بتتبع مجاري الأنهار المندرسة، ومقارنة ذلك بما تصفه المصادر التاريخية، ودراسة مشاريع الري القديمة، من سدود ونواظم وقناطر وبِرك. وقد أثمرت دراساته المستفيضة في ذلك المجال تأليف كتاب ضخم بجزأين، بعنوان (ري سامراء في العصور الإسلامية)[١١٠] ودراسة أخرى عن بعض المشاريع الإروائية في منطقة سامراء في عهد المتوكل[١١١]. ومع أنه لم يكن قد نشر شيئاً عن خطط بغداد

---

(١٠٩) مجلة سومر ٢(بغداد ١٩٤٦) ٥٥ – ٧٦ و١٩٧ – ٢١٣ .

(١١٠) طبع ببغداد سنة ١٩٤٩ .

(١١١) مأساة هندسية أو النهر المجهول ، بغداد ١٩٤٧ .

قبل ذلك التاريخ، إلا أن عمله في الخريطة المشتركة ، ثم في الأطلس المتخصص الذي أصدره بعدها بعنوان (أطلس بغداد) (١١٢) ودراسته المعنونة (ري بغداد القديم أو بغداد قبل المنصور) (١١٣) دل على تتبعه الدقيق لمجاري أنهار بغداد المندرسة، وتعيين مآخذها، ومصباتها، وهي مسألة مهمة، بل لا غنى عنها، في أية دراسة سليمة لخطط بغداد في العهود الماضية، ولطالما كان عدم إيلائها ما تستحقه من عناية، سببا في وقوع باحثين سابقين في أخطاء جمة، ومن هنا كان لقاء الباحثين جواد وسوسة (ولا نعلم دور ثالثهما الصراف) مؤديا إلى تعاونهما الوثيق في دراسة علاقة شبكات الري القديمة في منطقة بغداد الغربية بتأسيس مدينة المنصور المدورة، وما كان يحيط بها من قرى ومشاهد وأديرة، ثم ما نشأ قربها من قصور ومقابر وأسواق ومحلات، وطريقة ري الجانب الشرقي بالشبكة المعقدة من الأنهار الآخذة مياهها من نهر الخالص، وغير ذلك ، مما تجلى في الخريطة المذكورة (١١٤) .

---

(١١٢) طبع ببغداد ، مطبعة المساحة ١٩٥٢ .

(١١٣) مجلة الزراعة العراقية، العدد٣، مج ٧، بغداد ١٩٥٢، ص ٢٨٣-٢٩١.

(١١٤) قال أحمد سوسه واصفا لقاءه بمصطفى جواد " كان رحمه الله أول من غذى في نفسي الميل والاتجاه نحو دراسة معالم مدينة بغداد التاريخية وآثارها ، فكنا نقضي أكثر أيام الجمع نتجول في زيارة المواقع التاريخية من مساجد ومبان ومقابر وتلول وآثار جداول وأنهر، وكنا نصطحب معنا الأستاذ أحمد حامد الصراف في بعض تجوالاتنا، فكان أول انتاج مشترك بيننا نحن الثلاثة هو وضع خارطة كبيرة لمدينة المنصور المدورة وتثبيت موقعها بالنسبة لمواضع بغداد الحالية، ومجرى نهر دجلة الحالي، نشرها المجمع

ولم تمض إلا بضعة سنين، حتى أخذ الباحثان بتأليف كتاب مستقل، أرادا أن يكون دليلاً يوضح معالم الخريطة المذكورة، فعنوناه باسم (دليل خريطة بغداد المفصل) (طبعه المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨، ٣٣٤ ص عدا الفهارس) إلاّ أن الكتاب تجاوز في تبويبه ومنهجه فكرة أن يكون دليلاً، إلى أن يصبح دراسة علمية معمقة لتطور خطط بغداد عبر مختلف العصور، منذ ما قبل تأسيس المدينة المدورة، وحتى نهاية العصر العثماني .. وكان لتتبع مجاري الأنهار المندرسة أثر واضح في هذه الدراسة، مما لم يعهد في المحاولات المشابهة الأخرى، وقد صرَّح المؤلفان بأنه لا محل للمبالغة " إذا قلنا أن أنهار بغداد القديمة كانت الأساس الذي شيدت عليه المدينة في مختلف أدوارها التاريخية، لأن العمران اقتفى أثر الأنهار في كل خطوة من خطوات حياة المدينة .. ولذلك نستطيع أن نجزم بأن دراسة تاريخ أنهار بغداد يجب أن تكون السناد الذي يستند إليه في دراسة خطط هذه المدينة القديمة، وعليه تصبح كل دراسة، لا تأخذ بنظر الاعتبار وضع تخطيط الأنهار بداية لها، معرضة للخطأ " [١١٥].

لقد قدّم دليل خريطة بغداد جهداً كبيراً انتظم مجموع ما تم بحثه من مسائل خططية تفصيلية عبر العقود الماضية من السنين، وشارك فيها عدد كبير من الباحثين، كما قدم – ولو في صفحات قليلة – عرضاً لأهم

العلمي العراقي وطبعت باشرافي في مطبعة مديرية المساحة العامة سنة ١٩٥١"(نبذة غير منشورة بين أوراق الدكتور أحمد سوسه).

(١١٥) دليل خارطة بغداد المفصل ٢ .

ما وضع في العصر الحديث من مؤلفات تناولت تاريخ خطط بغداد القديمة. وفي الواقع فإن الكتاب تجاوز في نطاقه ونتائجه كل ما تحقق في مجاله من دراسات سابقة، وبخاصة دراسة ليسترنج عن بغداد في عهد الخلافة العباسية، ويتضح ذلك من النقد العلمي الذي بدأ به المؤلفان كتابهما للنتائج التي انتهى إليها ليسترنج، وبخاصة في مجال دراسة أنهار بغداد واتجاهاتها. بل انهما نقدا عليه منهجه كله، بقولهما " وقد علمنا من تدقيق النظر في كتابه أنه كان يجمع النصوص الخططية ثم يقرؤها، وفي أثناء القراءة يرسم خريطة ، ثم يصف الخريطة كأنها حقيقة، ويؤلف كتابه من ذلك الوصف، فلا غرابة في أنه وقع في أوهام مختلفة "(١١٦) هذا مع أنه لا محيص عن استعمال هذا المنهج كلما عدمت الشواخص الباقية ، وقد اتبعاه في كتابهما هما أيضاً، إذ لا يتصور أن ترسم خريطة بغداد في ذلك العصر ما لم تجمع النصوص وتحدد العلاقات بين معطياتها الخططية، فليس من خطأ – في تقديرنا – في اتخاذ مثل ذلك المنهج وإنما النقص يكمن في " أنه لم يزر بغداد، بل اعتمد في تطبيق خارطاته على خارطات بغداد الحديثة " وهذه المؤاخذة صحيحة، وذلك لإهمال الخوارط الحديثة التي اعتمدها لبعض الشواخص المفيدة في معرفة ما هو غير معروف من المواضع القديمة البائدة.

ومن ناحية أخرى فإن الكتاب لم يقف عند حدود العصر العباسي، كما فعل ليسترنج أيضاً، وإنما تعداه ليشمل خطط بغداد في عهد

---

(١١٦) المصدر نفسه ص ٢٠ .

المغول والفرس والترك، أي في الحقبة الممتدة من سنة ٦٥٦ إلى ١٣٣٥ هـ (١٢٥٨ – ١٩١٧) فقدم بذلك صورة متكاملة لخطط المدينة عبر مراحل تأسيسها وتطورها وانكماشها على حد سواء ، وقد أدى تقديم هذه الصورة إلى اكتشاف هويات عدد من المعالم الشاخصة، أكثرها من المساجد والمشاهد التي نُسبت إليها، في عهود متأخرة، المحلات المحيطة بها، كمحلات السيد عبد الله، وقمر الدين ، والفضل ، وسراج الدين ، والصدرية وغيرها .

ويمكن القول بأن ظهور (الدليل) كان يمثل ذروة ما وصل إليه علم الخطط من نضج، في استقراء النصوص، وتحليلها، ومتابعة الآثار الشاخصة، والتحقق من هوياتها الأصلية، واتخاذها دليلاً إلى معرفة ما هو غير معلوم من خطط المدينة الأخرى. ومع أن جواد نشر بعد إصدار (الدليل) عدداً من البحوث الخططية المعمقة، وعلّق على مخطوطات حققها تعليقات توضح أمر هذه الموضع أو ذاك من بغداد العباسية، إلاّ أن جميع ما نشره لم يخرج من حيث أسس البحث، والنتائج أيضاً، عما أورده في كتابه المذكور. وإنما يمكن عده توضيحاً، وتفصيلاً، أو رداً على المنتقدين، وليس اكتشافاً لحقائق جديدة. وينطبق هذا على بحثه المطول "دار المسنّاة الناصرية دار علم وعلماء " الذي نشره سنة ١٩٦١ (١١٧) وهو في تفصيل ما كان يعقوب سركيس قد أثبته وأيده جواد نفسه، منذ أكثر من ثلاثين عاماً، والملحق الخططي بمحلات بغداد، الذي جعله في آخر كتاب (بغداد مدينة السلام) لريجارد كوك، وكان قد قام، وزميل له، هو فؤاد جميل،

---

(١١٧) مجلة كلية الآداب ٤ (بغداد ١٩٦١) ٥ – ٣٢ .

بترجمته في جزأين (بغداد ١٩٦١ – ١٩٦٨) وفي ردوده، ومقالاته، التي كان ينشرها في صفحات بعض المجلات والصحف حتى وفاته في نهاية ذلك العقد.

نظريات مختلفة

في الوقت الذي كانت دراسات الراوي وسركيس وجواد وسوسة في العراق قد أكدت حقيقة ما حدث من انتقال للعمران من أعلى الجانب الشرقي (حيث الرصافة = الأعظمية) إلى أسفله (حيث بغداد الشرقية بأسوارها العباسية المتأخرة التي لبثت حتى نهاية العصر العثماني)، كان ثمة نقاش لما يزل دائراً بين أوساط بعض المعنيين من المستشرقين حول حدوث هذا الانتقال من عدمه، وكان لويس ماسينون، الذي يظهر أنه تأثر بأفكار الآلوسي القديمة حول شمول معنى الرصافة للجانب الشرقي، ومن ثم عدم انتقال العمران، قد وجدت أفكاره تأييداً لدى بعض المستشرقين، بينما ذهب آخرون إلى تأييد أبحاث ليسترنج حول حدوث ذلك الانتقال من الشمال إلى الجنوب، مع بعض التعديلات في التفاصيل .

وفي أواخر عقد الخمسينيات نشر الدكتور جورج مقدسي أستاذ الدراسات العربية في جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة، دراسة خططية جديدة عن بغداد في القرن الخامس الهجري (١١م)[١١٨] أيد فيها ما

---

(١١٨) خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي (بغداد ١٩٨٤) .

سماه (نظرية الانتقال) بشكل عام، وإن عدّل فيها بعض الجزئيات على وفق ما استجد لديه من وثائق، وأبرزها نص منسوب لأحد أفراد أسرة آل الجوزي المعروفة ببغداد في أواخر العصر العباسي، بعنوان (مناقب بغداد). وتكمن أهمية هذا النص أنه احتوى على روايات مهمة لمؤرخ بغدادي سابق، هو ابن عقيل، الذي عاصر الخطيب البغدادي وعاش بعده مدة نصف قرن تقريباً، وتعد معلوماته مكملة لوصف الخطيب، وبخاصة عن الجانب الشرقي، وفيه تفاصيل طريفة عن مختلف المحلات ونشاطات السكان والحدائق والأبنية المهمة ونهر دجلة وتوابعه .

نشر مقدسي نصوص روايات ابن عقيل، مستخرجة من مناقب بغداد، وعلق عليها – كما فعل سالمون من قبل بنص الخطيب – تعليقات في ضبط الأسماء وتحقيق مواضعها، بالاستفادة من معطيات المصادر الخططية والأدبية الأخرى، وبخاصة ياقوت وابن الجوزي في المنتظم، وأثبت تلك المواضع على خريطة حديثة لبغداد، وناقش وهو في صدد ذلك، آراء متقدميه، أمثال ماسينون وشتريك، وغيرها مناقشة مستفيضة، وهكذا فإنه أثبت مواقع عدة من الجانب الشرقي، مثل باب الطاق، وشارع المُخرم، والزاهر ، وسوق يحيى، وقصر فرج، والدار المُعزية، ورحبة الجسر، ونهر المُعلّى، وحريم دار الخلافة، وباب الأزج. ومن الجانب الغربي : الكرخ، والحريم الطاهري، وشارع دار الرقيق، والمارستان العَضُدي، والتوثة، وباب المُحوّل. كما تحدث عن معالم خططية أخرى كانت تقع بين تلك المواضع أو حواليها ، وقد ألحق بتعليقاته مباحث

مستقلة فـــي تاريخ إنشاء سور بغداد الشرقية فـــي عهد السلاجقة ، ووصف دار الـــمملكة البويهية.

وبشكل عام، فإن ما انتهى إليه مقدسي فـــي تحديده لـــــخطط بغـداد خلال الحقبة الـــمذكورة، لـــم يـــخرج عما أثبته جواد وسوسه والصـــرّاف فـــي (خريطة بغداد قديـــماً وحديثاً) (وكان قد أشار إلـــى اطلاعه على هـذه الخريطة) . ويلاحظ هنا، أنه لـــم يثبت فـــي خارطته التغيـــير الـــحاصل فـــي مجرى نـــهر دجلة، في المنطقة المحصورة بين الكاظمية وسور بغـداد الشرقية الشمالـــي، مع أن ملاحظة هذا التغيير مـــن شأنـــها أن تُـــحدث تغييرات مهمة فـــي تحديد أماكن المعالـــم الواقعة على شاطئ النهر القريبـــة منه.

ولـــم تمض إلا سنوات قليلة، حتـــى أصدر الدكتـــور يعقـــوب لِسْـنَر الأستاذ فـــي جامعة ولاية واين ، كتاباً فـــي (خِطَط بغداد فـــي العهـــود العباسية الأولـــى)[١١٩] حقق فيه مـــجدداً نص مقدمة الـــخطيب البغـــدادي، وأضاف إليه تعليقات مطولة على أغلب ما ورد فيه من أســـــماء معالـــم مختلفة، وفـــي هذه التعليقات ضبط للأســـماء، وتوضيح للعلاقات المكانيـــة بين مسمياتـــها، وتحديد لتواريخ إنشاء كثير من الـــمعالـــم. ولقد أعاد تقديـر مساحة عدد من المحلات ، ونـــاقش أقوال القدمـــاء، وقـــارن بينها بدقـــة ملحوظـــة ، كما ناقش آراء متقدميه، وآخرهم جورج مقدسي، والـــمهم أنـــه وافق نظريته فـــي انتقال العمران، فرسم خوارط خططية متعددة لبغـــداد ، الأولـــى للمدة من تأسيسها إلى سنة ٣٥٠ هـــ ، والثانية للمدة من ٤٠٠ إلـــى

---

(١١٩) ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي (بغداد ١٩٨٤) .

٧٠٠ هـ ، فضلاً عن خرائط تفصيلية للكرخ والضواحي المجاورة، ولمحلات الحربية والرصافة والمخرم، ولمحلات طريق المحول، وأثبت على هذه الخرائط المعالم الخططية الكثيرة مما ورد في مقدمة الخطيب وغيره من المصادر الأخرى. وهذه الخرائط بالتأكيد، أكثر تفصيلاً من عمل مقدسي، ولكنها مثلها في عدم أخذها بالتغير الذي أصاب مجرى دجلة في القرون المتأخرة، ولا تختلف في أساسها عن (خارطة بغداد قديماً وحديثاً) لجواد وسوسة والصراف، ومعطيات (دليلها المفصل) إلا في عدم إثباتها فرعاً جنوبياً لنهر عيسى، وهو الرأي الذي كان سوسة قد أثبته في أعماله المشتركة، كالخارطة ودليلها، والمنفردة كأطلس بغداد.

ومثلما فعل مقدسي لتحقيقه لنص ابن عقيل، فقد ألحق لسِتْرَ بتحقيقه نص الخطيب دراسات مستقلة في إدارة المدينة وتنظيمها ، مقرراً أن بغداد "لم تكن مدينة بقدر ما هي مدينة مُدن "[١٢٠]. وبذا فإنه بدأ بدراسة الوحدات البلدية فيها ، مركزها وضواحيها، وتوصل إلى أن هذه الضواحي كانت تعد ، حتى في نظر أهلها ، مدناً مستقلة، ولهذا فقد كان لكل منها جامعها الخاص. ولاحظ أن تعدد الأسواق والمساجد والجوامع والمقابر كان ضرورة اقتضتها رقعة المدينة الواسعة جداً، وإن زحف المدينة وأسواقها أدى في كل مرة إلى إيجاد وحدات إدارية وقضائية وبلدية متعددة. وعُني في ملاحق أخرى بدراسة السياسة الاقتصادية للخلفاء الأوائل، وبالبحث في التطور المعماري لجامع المنصور، وهي

---

(١٢٠) المصدر نفسه ٣٠١ .

موضوعات لا تعلق لـــها بالجانب الخططي من الكتاب إلاّ على نحو غـــير مباشر . بيد أنه يـــمكن القول أن هذه الملاحق كشفت عن أن هدف البـــاحث فـــي دراسة الخطط كانت تتجاوز الـــخطط نفسها إلـــى دراسة موضوعـــات أخرى لـــها تعلـــق بإدارة المدينة وتنظيماتـــها البلديـــة، بـــل والاقتصاديـــة أيضاً، وهذه الغاية هي التي تجلت بوضوح أشد في دراسات الدكتور صالـــح أحمد العلي كما سنرى.

الخطط والحضارة

وفـــي أواسط العقد السادس من هذا القرن، شرع الدكتـــور صالـــح أحـــمد العلي، الأستاذ فـــي قسم التاريخ بكلية الآداب فـــي جامعـــة بغـــداد يومذاك، بدراسة مدينة بغداد دراسة علمية جديدة، مستفيداً من تـــجارب لـــه مهمة فـــي دراسة مدينة البصرة ومدن أخرى، والـــمهم أنه قدم، منـــذ أول بحث له فـــي هذا المجال، نظرة جديدة لعلـــم الخطط نفسه، إطاره وغايتـــه، فليس هدف هذا العلم "إشباع غريزة حب الاستطلاع وتوفير اللذة التي تنبعـــث من الكشف عن المجهول وتوسع أفق الـــمعرفة، وخاصـــة من لم يقيم فـــي تلك الـــمدينة أو يهتم بـــه"[١٢١] وإنـــما يتجـــاوز ذلك إلـــى ما هـــو أكـــثر أهـــمية وفائـــدة ، ويمكن تلخيصـــه فـــي أنه "يقدم مادة أساســـية لـــمن يريد دراسة توزيع السكان وأحوالـــهم البشرية الاجتماعيـــة والاقتصاديـــة، ويوضح بعض ما يؤثر فـــي العلاقات بينهم، ويفسر بعض عوامل ظـــهور

---

(١٢١) مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢٤(١٩٦٧) ص ٣ – ٣٣ .

التنظيمات الإدارية. كما يقدم تفسيرات لكثير من الحوادث السياسية والوقـائع العسـكرية" فعلم الخطط إذن وسـيلة يُتوسّل بـها لفهم تكويـن الـمدينة وتنظيمها وإدارتـها، وليس غاية بذاتها، كما كانت تنتهي إليـه البحـوث الخططية عادة من قبل. ولذا فإن العلـي لـم يُعن كثيراً بتطبيق المواضـع العباسية على خريطة بغداد الـحديثة كما فعل المعنيون السابقون بـالخطط ، وإنما عني – بالدرجة الأولى – بوصف خططها وصفاً شاملاً ومستوعباً لمـا تضمه من شوارع ودروب وسكك وقصور وجسور وأنـهار وغـير ذلـك، ليس بحسبانـها معالـم خططية فحسب، وإنـما بوصفها معالـم حضاريـة للمدينة فـي عهد ما. وفـي تقديرنا فإنه لـم يحدد لعلم الـخطط غايته فقط، ولكنه تجاوز ذلك إلى إنضاج منهج جديد فـي البحث أيضاً، وهو لذلك لـم تشغله مسألة إثبات أن الـمبنى الشاخص هو بقايا هذا القصر أو ذلك، بقـدر ما كان يشغله تحديد العلاقات بين مراكز الثقافة، والسـوق، والـمؤسسات الرسـمية مثلاً فـي جزء من المدينة، أو توضيح الصـلات بيـن المدينـة وأرباضها، أو دراسة وسائل الاتصال بين مـختلف أجزائها، وأثر التغـيرات الحادثة فـي خططها على مجمل تلك الفعاليات. ولهذا السبب افتتح العلـي دراساتـه الخططية ببحث عنوانه (مصادر دراسة خطط بغداد في العصـور العباسية)[١٢٢]حلل فيه روايات الـمؤرخين الأوائل عن بغداد، وقـد بـررَ عنايته بدراسته هذه المصادر بأنه " لـما كانت المـدن مُعرَّضـة للتطـور والتبدل تبعاً لتبدل الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فإن البـاحث الحصيف لا بد له من الـحذر والتدقيق عند تدقيق هذه الـمصادر الأدبيـة"

---

(١٢٢) هو البحث المشار إليه في الهامش السابق .

وأنه لا بد للباحث "تحديد زمن المصدر أو الكتاب الذي يصف خطط المدينة، وبيان أن وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمن المؤلف وتمييز ذلك عما نقله ممن سبقه".

نشر العلي خلال السنين التالية عددا من الدراسات المعمقة حول بغداد، وعلى الرغم من أن هذه الدراسات كانت تتناول - بحسب الغاية التي توخاها - تاريخ المدينة وجوانب من تنظيماتها الإدارية والعسكرية ، فإنها تضمنت أيضا موضوعات خططية مهمة ، بوصفها من مستلزمات دراسة تلك الجوانب وأساسياتها . ففي بحثه (منازل الخلفاء وقصور في بغداد)[١٢٣] تكلم عن قصر المنصور المسمى بقصر الذهب، والجامع، وقصر الخلد، وقصر القرار، والشرقية، وترب الخلفاء في الرصدة، وبستان أم جعفر، وقصر المأمون، وقصر المعتصم، ودار الخلافة، ودار ابن طاهر، ومدافن الخلفاء فيه. وفي بحثه عن (الدواوين ومراكزها)[١٢٤] تحدث عن دار المملكة البويهية ودار السلطنة السلجوقية. وفي بحثه عن قضاة بغداد [١٢٥] استفاد من دراسة خطط بغداد في وصف التنظيم القضائي للمدينة ، فتحدث عن المناطق القضائية فيها : الشرقية، والكرخ، وعسكر المهدي، والرصافة، وباب

(١٢٣) نشر في مجلة سومر ، المجلد ٣٢ (بغداد ١٩٧٦) ص ١٤٥ - ١٧٩ وأعيد نشره في كتابه "معالم بغداد الإدارية والعمرانية " (بغداد ١٩٨٨، ص ٧-٦٧).

(١٢٤) نشر في مجلة سومر المجلد ٣٣ (١٩٧٧) ص١٢٦ - ١٤٦، وأعيد نشره في (معالم بغداد الإدارية والعمرانية) ص ١٢٧-١٥١.

(١٢٥) نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢٨ (١٩٦٩) ص ١٤٥ - ٢٠٨ وأعيد نشره في معالم بغداد ص ٢٠١ - ٢٥٩ .

فيها : الشـــرقية، والكـــرخ، وعسكر الـــمهدي، والرصافة، وبــــاب الطـــاق، وباب الأزج، والحريم، وباب النوبـــي، ونـــهر المعلى. وسعى في دراسة لـــه عن المواصلات والجسور[126] إلى تحديد مواضع جســـور بغـــداد العباســـية بحسب أزمان إنشائـــها، وما كانت تصـــل بينه من محلات ومواضع. بيـد أن العلي لـــم يدخل مسألـــة تطبيق هذه المواضع علـــى خريطة بغداد الـــحديثة فـــي نطاق اهتمامـــه إلا قليلا، ولـــم يشر إلـــى ما انتهت إليـــه الدراســـات الخططية السابقة في تحديد موضع هذه الدار، وتلـــك المنشـــأة، مـــن أرض المدينـــة الحديثـــــة، وإنمـــــا أعطـــــى تصـــــوراً عامـــــاً للعلاقـــــات المكانية – والحضارية بين العديد من هـــذه المرافـــق، وفقـــاً لمـــا أوردتـــه النصوص التاريخية والبلدانية المعاصرة .

وفي بحث مستقل بعنوان (نـــهر عيسى فـــي العهود الإســـلامية)[127] تناول العلي تاريخ هذا النـــهر المهم الذي كان يأخذ مياهه من الفرات ليصبها فـــي دجلة، فتحدث أولاً عن الصلة التاريخية بين نهر الرفيـــل القديـــم قبـــل الإســـلام، ونهر عيسى الحادث بعده، متوصلاً إلـــى أن الأخيـــر هو فـــرع من الأول وليس مرادفـــاً لـــه. وبحث فـــي فيضان النـــهر، أسبابـــه ومـــداه وحوادثـــه، وصلته بالزراعـــة ، من حيث إروائـــه الـــمنطقة الزراعيـــة حوله، الـــمعروفة بطَسُّوج بادُوريا. واستقصى ما أوردتـــه المصـــادر عـــن المعالـــم الخططية التي كانت تقع على النـــهر من الـــمدن والقرى والقناطر،

(١٢٦) نشر في مجلة المـــورد ، المجلـــد ٨ العـــدد ٤ (١٩٧٩) ص ١٠٧ – ١٢٦ وأعيد نشره في معالم بغداد ص ٢٧٢ – ٣٢٧ .

(١٢٧) نشر في مجلة سومر ، المجلد ٢٤ (١٩٨١) ص ٧٧ – ١٨٨ .

وأهمها : قنطرة دمما ، والسلحين، والسندية، والداهرية، والروحاء ، والفارسية، والدرزينية، وتل عقرقوف، والمحول ، وبسيلة. مستفيدا من ذلك في تقديم صورة واضحة عن التقسيمات الإدارية والقضائية لمنطقة النهر، وموقعها من التقسيمات الأخرى في الجانب الغربي من بغداد. ويلاحظ أن جميع ما أورده البحث من مواقع قد دثر فلم يمكن تحديده وفقا للخريطة الحديثة، باستثناء واحد ، هو تل عقرقوف الأثري الذي لبث شاخصا حتى اليوم، بيد أن موقع هذا التل خارج المنطقة المأهولة من الجانب الغربي، والبعيد عن العمران، قد حال دون الاستفادة منه في تعيين مواقع المعالم الخططية الأخرى . ولعل أهم ما توصل إليه البحث، من الناحية الخططية، أنه لم يثبت وجود نهر آخر يحمل اسم عيسى أيضا، في نهاية القسم الجنوبي من غربي بغداد، استنادا إلى سكوت المصادر الكامل عن مسألة وجوده، فنقض بذلك – وإن لم يصرح تصريحا – أهم ما كان مصطفى جواد وأحمد سوسه قد أثبتاه في دراستهما لخطط هذا الجانب وردهما على دراسة ليسترنج التي تفرق بين النهرين .

وفي سنة ١٩٨٥ أصدر العلي كتابا كبيرا بجزأين بعنوان (بغداد مدينة السلام، إنشاؤها وتنظيم سكانها في العهود العباسية الأولى – الجانب الغربي) [١٢٨] التزم فيه بالغاية التي حددها من قبل في دراسته للمدينة، ومع ذلك فإن الكتاب جاء أكثر تناولا للموضوعات الخططية، إذ شمل الحديث : الأرباع، والأرباض، والقطائع، والدروب، أسماؤها وما ورد فيها من نصوص، ومواقعها في ذلك العصر . كما تحدث بتفصيل

---

(١٢٨) مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٨٥ .

مستوعب عن مركز المدينة المدورة، القصر والجامع والقبة الخضراء، ثـــم سِكك المدينة ودلالات أســـمائها وخندقها وأسوارها ومساحتها وأبوابـــــها، وما نشأ حوالـــي تلك الأبواب من محلات ومقابر ومنشآت مختلفة. والمـــهم أنه ألحق دراسته هذه بخريطة تقريبية وضّحت مواقع بعض ما ورد فيها من مسميات وبينت العلاقة الـــمكانية بينها.

وفي سنة ١٩٩٠ نشر العلي بحثاً مسهباً عن (رصافة بغداد وأطرافها) تحدث فيه عن تخطيطها وقطائعهـــا وتاريخ إنشـــائها وســـورها وخندقـــها وعمرانها وتوسعها، وبحث فـــي مسجدها الجامع وقصر الرصافة الشـــهير الذي بناه المهدي، والذي تـــحول فـــي عهد متـــأخر، إلى مقابر للخلفــــاء العباسيين، والمعالـــم العمرانية فـــي أطراف المنطقة، وأهـــمها : دار الروم، والجسر الأعلى، وسُوَيقة نصر، وباب الطاق، والخُضَرية، ومقبرة الخـــيزران (حيث دفن الإمام أبـــي حنيفة) والمقبرة المالكية، وقبر النـــذور، وغيرهـــا. وألحق ذلك كله بخريطة خططية، بين فيها مجرى نـــهر دجلـــة القديـــم، ومجراه الحديث، وقدَّر فيها مواقع المنشآت التـــي جـــرى بـــحثها فـــي الدراسة. وقد تضمنت الخريطة شواخص قائمـــة تفيد فـــي تحديد المواقـــع البائدة، فضلاً عن مـــجرى دجلة نفسه، فقد كان ثمة موقعان يرتقيـــان إلـــى العصور العباسية المبكرة، وظـــلا يحتفظان بهويتهما حتـــى اليـــوم، همـــا قبر النذور (الـــمعروف بقبر أم رابعة فـــي الأعظمية) ومشهد أبـــي حنيفـــة (ولما يزل معروفاً باســـمه)، وقد استدل العلي بـــهما علـــى تعيين موقـــع

الرصافة ، وعدد من المواقع الخططية، وإن لم يذكر ذلك صراحة في ثنايا البحث نفسه. (١٢٩)

وكان كاتب هذه السطور، قد توصل، من خلال دراسات خططية قام بها، إلى أن خريطة الجانب الشرقي من بغداد في العصر العباسي لم تتغير بصفة أساسية حتى أواخر القرن التاسع عشر، وأن بغداد حافظت على اتجاهات دروبها ومشارعها ومقابرها على الرغم من مرور نحو ستة قرون عدداً، ويعني هذا أنه يمكن الإفادة من خريطة بغداد العثمانية في فهم العلاقات بين مواقع المؤسسات في أواخر العصر العباسي، ولذا فإنه حينما أصدر كتابه (مدارس بغداد في العصر العباسي) سنة ١٩٦٦، حدّد مواقع هذه المدارس، وعددها أربع وثلاثون مدرسة ، بحسب خطط بغداد بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن السابع للهجرة (الحادي عشر إلى الثالث عشر للميلاد)، مستدلاً على ذلك من تطابق المعالم الرئيسة لبغداد في تلك الحقبة على معالمها المتأخرة بحسب خريطة فيلكس جونز المرسومة سنة ١٨٤٦ م. وقد ألحق بكتابه خريطة تضم مقطعاً من بغداد الشرقية، مقتبسة من خريطة جونز، حدد عليها مواقع المدارس والأسواق كما بدت في العصر العباسي.

وفي الاتجاه نفسه نشر أبحاثاً متنوعة عن بعض مواقع معالم بغداد ومؤسساتها في " صر العباسي، منها أنه توصل إلى أن دار القرآن البشيرية، التي أنشأتها السيدة المعروفة بباب بشير، سنة ٦٥٢ هـ، إن هي

---

(١٢٩) نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٤١ الجزء ٢ (١٩٩٠) ص ٥ - ٥٩ .

إلا مسجد السيف القديم الواقع على شاطئ دجلة بالكرخ، مستدلا بنص أورده مؤرخ بغدادي متأخر، وبوصف المؤرخين لها [١٣٠]. وان إيوان الطب التابع للمستنصرية هو أصل جامع القبلانية (وقد أزيل مؤخرا ولم تبق منه إلا مئذنته) لوصف المؤرخين له بأنه يقابل هذه المدرسة[١٣١]. وأن مسجد الخليفة الناصر في سوق السلطان هو أصل جامع السراي (جامع جديد حسن باشا) مستندا إلى دراسة اتجاهات دروب سوق السلطان ومقابلتها على سوق الهرج الحالي، إضافة إلى إشارات تاريخية أخرى [١٣٢] وإن القبر الذي ينسب إلى الصوفي الحسين بن منصور الحلاج في الشونيزية (مقبرة الشيخ جنيد) ، والذي أشار إليه السياح وأولهم ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ ، ليس له ، وإنما لرجل آخر متأخر عنه، هو المحدث الصالح محمد بن أحمد القطان المعروف بابن الحلاج ، المتوفى سنة ٥٢٨ هـ[١٣٣]. كما نشر بحوثا عدة عن معالم بغدادية شتى، منها جامع الخاصكي[١٣٤]، وجامع سراج الدين [١٣٥]، ومسجد قمرية في العصر العباسي [١٣٦] وجامع السيد سلطان علي [١٣٧] والمدرسة

---

(١٣٠) جريدة البلد البغدادية ، في ١٠ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

(١٣١) مجلة الرسالة الإسلامية ، بغداد الأعداد ٣٣ – ٤٤ (١٩٧١ – ١٩٧٢) .

(١٣٢) جريدة البلد في ١٩ أيلول ١٩٦٦ .

(١٣٣) جريدة البلد في ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٦ .

(١٣٤) جريدة البلد في ٢٠ كانون الثاني ١٩٦٦ .

(١٣٥) جريدة البلد في ١ أذار ١٩٦٦ .

(١٣٦) مجلة التربية الإسلامية ، بغداد عدد ٣ السنة ٨ (شباط ١٩٦٦).

(١٣٧) جريدة البلد في ١٤ و ١٩ أب ١٩٦٦ .

السليمانية[١٣٨]، وجامع الخاتون [١٣٩]، ومسجد نعمان الباجه جي [١٤٠]، وقبر أبي الحسن الأشعري [١٤١]، وغير ذلك .

وفي سنة ١٩٧٨ حقق كتابا لمؤرخ بغدادي من أهل القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد)، هو عبد الرحمن السويدي، وصف فيه أحداث بغداد في السنوات ١١٨٦ - ١١٩٢ هـ/١٧٧٢ - ١٧٧٨م [١٤٢]، فأورد في حواشيه آراء خططية ، حول أصول عدد من المحلات البغدادية ، وقلاع بغداد وتحصيناتها، وأسواقها، ومشارعها، وخاناتها، وجوامعها، متوصلا - مثلا - إلى أن أصل مبنى المحاكم المدنية القديم، قرب القشلة، هو الدفتر خانة العثمانية، وأن (خان التوتون) و(خان آت ميداني) هما المدرسة المستنصرية نفسها بعد توقف التدريس فيها، وغير ذلك من شؤون .

---

(١٣٨) جريدة البلد في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٦ .

(١٣٩) جريدة البلد في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ .

(١٤٠) جريدة البلد في ٧ اذار ١٩٦٧ .

(١٤١) جريدة البلد في ٣ تشرين الأول ١٩٦٦ .

(١٤٢) لم يكن للمخطوطة عنوان ، فنشرناها بعنوان اخترناه ، هو (تاريخ حوادث بغداد والبصرة) وطبع مرتين ، الأولى سنة ١٩٧٨ والثانية سنة ١٩٨٧ .

وتحت عنوان (تاريخ مشــاريع مياه الشــرب القديــمة في بغــداد)، نشر بحثاً ســنة ١٩٧٩م[١٤٣] تنــاول فيــه تاريخ مشكلة توفير مياه الشــرب في بغداد، والمشاريع الهندسية التــي عرفتــها المدينة لحل هذه المشكلة منــذ تأسيسها فــي القرن الثانــي للهجرة، وحتى نهاية العصر العثمانـــــي. وقــد استند البحث، فــي بعض جوانبه، إلى دراسة لخطط بغــداد فــي العصـــر العباســي، ليس لمعرفة مواقــع تلك المشاريع فحسب، وإنما لمعرفـــة أثــر اختلاف مستويات الأرض وارتفاعاتــها على إنشاء كل مشروع وعلاقة ذلــك بتصميمه، ولذا فإن البحث زاوج بين دراسة الاختلافات الجزئيـــة لارتفــاع مستويات المحلات فــي بغداد، ودراسة خططها بحسب المعطيات التاريخيــة والأدبية .

ثم أنه نشر سنة ١٩٨٦ كتابا بعنان (المدرسة العلَية في بغداد) بحث فيــه في تاريخ واحدة من أشهر مدارس بغداد فــي العصر العثماني، تحول مبناهــا فيما بعد إلى دار للصناعة فقصر ملكي ثــم إلــى محكمة عســكرية، حتــى انتهت إلــى أن تكون مقرا لمؤسسة (بيت الحكمة) . والمهم أنه توصل مـــن خلال دراسة موقع هذه المدرسة، وعلاقتـــه بمواقــع المؤسســات العباســية المجاورة لـــها، ومنها جسر بغداد في أواخر العصــر العباســـــي، إلــى أن هذه المدرسة أنشئت في أرض كانت تشغلها مدرسة كبـــيرة أنشــئت فـــي السنين الأخيرة من القرن السابع للهجــرة، هي المدرسة العلائية الشــــاطئية،

---

(١٤٣) مجلة المورد ، المجلد ٨ ، العدد ٤ (بغداد ١٩٧٩) الصفحات ١٦٥ – ١٩٦ وقد وسعنا هذا البحث ، وأضفنا إليه مادة علمية جديدة ، فاستوى كتاباً مستقلاً ، وهــو تحــت الطبع الآن .

وقد صحح هذا رأيا قال به الشيخ محمد صالح السهروردي، منذ الثلاثينيات، مفاده أنه قصر أم حبيب ابنة الخليفة هارون الرشيد.

واستدل بنص مهم نقله ابن طباطبا الطقطقي، في كتاب مخطوط، عن المؤرخ العراقي ابن الساعي، على أن جثمان الخليفة العباسي الأخير المستعصم بالله قد أعيد دفنه، بعد سنوات من استشهاده على يد المغول، في مقبرة كانت تعرف بمشهد النذور، فأجرى دراسة خططية لهذا المكان وما حوله، متوصلا إلى أن قبر هذا الخليفة يقع – بحسب خريطة بغداد الحديثة – في مشهد أم رابعة، في محلة النصة، من محلات الأعظمية اليوم. وعلى ضوء الدراسة التي نشرها حول الموضوع سنة ١٩٩٢[١٤٤] وتقارير رفعها إلى الجهات العليا، فقد قامت الهيأة العامة للآثار بالتنقيب في المكان فتوصلت إلى أن القبر يرقى فعلا إلى العهد المغولي المبكر، وإن القبور التي حوله ترقى أيضاً إلى العهد نفسه، وهو ما يتطابق ومعطيات الدراسة الخططية تماما، وبذا فقد أضاف هذا الاكتشاف شاخصاً جديداً يمكن الاستدلال به على عدد من المواقع العباسية الدائرة حوله، وأهمها حدود الرصافة (الأعظمية الحديثة) الجنوبية، وما ضمنه من معالم في العصر العباسي.

وفي سنة ٢٠٠٠ أصدر كتابا بعنوان (معالم بغداد في القرون المتأخرة)[١٤٥]، درس فيه معالم هذه المدينة، من المحلات والمساجد والتكايا والأسواق والخانات والمنشآت العسكرية والسقايات

---

(١٤٤) مجلة الرسالة الإسلامية ١٩٩٤.

(١٤٥) إصدارات بيت الحكمة في بغداد، ٤٥٣ص.

والحمامات والمراقد والبساتين والضواحي، مستخرجا مادته من مكنونات الوقفيات والإعلامات والحجج الشرعية المحفوظة في آرشيف وزارة الأوقاف ببغداد، والتي تغطي المدة من نهاية القرن التاسع للهجرة (الخامس عشر للميلاد) وحتى سنة ١٩٥٨. ولقد ساعد هذا المنجم الجديد من الوثائق غير الموظفة على هذا النحو من قبل، وتحليل معطياتها، على المساهمة في سد ثغرة حقيقية بين معلوماتنا الخططية عن معالم بغداد في العصر العباسي وبين ما ورثها من منشآت في العصور التالية، وهو ما وضح مواضع تلك المعالم القديمة استنادا إلى وثائق أكيدة معاصرة لها، وليس على أساس الاستنتاج الخططي فحسب.

وفي سنة ٢٠٠١ استرجح، بناء على معطيات آثارية وخططية[١٤٦]، أن تكون بقايا القصر العباسي الذي اكتشفته بعثة تنقيبية من الهيأة العامة للآثار والتراث على شاطئ دجلة، في منطقة العطيفية، إلى الشمال من جسر الأعظمية، إن هو إلا قصر المنصور في مركز المدينة المدورة، ومن تلك المعطيات تحديد البعثة أن القصر يرقى إلى القرن الثاني للهجرة، عهد تأسيس المدينة المذكورة، والعثور على لقى متحفية جميلة تدل على المستوى المترف لساكنيه، ومنها دوانيق، تلك العملة النحاسية التي طالما اشتهر بها الخليفة المنصور حتى نسب إليها، وقطعة نقدية عليها اسم المنصور سنة ١٥٧هـ، والأهم من ذلك العثور على آبار عميقة متصلة على هيأة نفق يتجه نحو الشمال الغربي. وهو ما يتطابق ووصف النفق الذي أنشأه المنصور

---

[١٤٦] بحثنا: الباب الوسطاني في بغداد وما حوله، عرض تاريخي- خططي ومقترحات، مجلة آفاق عربية، العدد ٩-١٠ أيلول / تشرين الأول ٢٠٠١، ص٥٣.

تحت قصره، والذي كان يتجه نحو فروع نهر كرخايا في الشمال الغربي من مدينته. إن هذا الاكتشاف يدل على أن المدينة المدورة كان أعلى من الموقع الذي سبق أن حدده باحثون من قبل معتمدين على المعطيات الأدبية والتاريخية وحدها، وان موقعها الجديد يأتي منسجما مع موقع الرصافة (الأعظمية) التي أنشأها المهدى في وقت قريب من عهد انشاء المنصور مدينته، حيث كان الجسر يربط بين الجانبين في خط مستقيم يصل باب خراسان ، أحد أبواب المدينة، بباب خراسان الكائن في سور الرصافة من الجانب الشرقي، وبهذا التحديد يصبح ممكناً- إن استمرت عمليات التنقيب- تعيين مواقع مؤسسات المدينة المدورة الأخرى، ومنها جامعها الشهير وأسوارها وخنادقها وأبوابها، وذلك لأنها كانت تتخذ شكلاً هندسياً دائرياً منتظماً. ومن ناحية أخرى فإن الكشف يتطابق مع المعلومات المتوفرة عن تغيير مجرى نهر دجلة في القرون المتأخرة وانحرافه المستمر نحو الغرب، وأن نصف المدينة المدورة أصبح مستقراً في قاع نهر دجلة.

والمرجو أن يكون القرن الواحد والعشرين قرن البحث الدائب، عن معالم بغداد الدائرة، بالاستعانة بالوسائل التقنية المتطورة وبالإمكانات الفنية الكافية، وبذا ينتقل علم خطط بغداد من مرحلة المعطيات الأدبية والتاريخية فحسب إلى مرحلة جديدة يستند فيها على الاستكشافات المادية الملموسة.

نتائج ختامية

أثارت دراسة خطط بغداد القديمة اهتمام عدد من المؤرخين المحدثين من عراقيين وغيرهم ، فأولوها عنايتهم، وكتبوا فيها أعمالاً مختلفة تنوعت غاياتها، ووسائلها، ومستوياتها العلمية، ويمكننا هنا أن نلخص أهم الاتجاهات التاريخية التي برزت في هذا المجال، إبان الحقبة الممتدة منذ منتصف القرن الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر للميلاد) وحتى الآن . وذلك على النحو الآتي :

١. اتجاه استهدف تأكيد أهمية بغداد من خلال تعيين ما تضمه أرضها من أضرحة الأولياء والصالحين، وبذا فإنه أتخذ من هذه الأضرحة شواخص للاستدلال على ما حولها من مواقع بائدة، وقد اتسمت المرحلة التي ساد فيها هذا الاتجاه بكثير من الأحكام الخططية المبتسرة، بسبب عدم تمييز مؤرخيها بين القبور الحقيقية والمُدَّعاة، وقلة المصادر المتاحة. ويمكن أن نتلمّس هذا الاتجاه منذ منتصف القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) وحتى نهاية القرن التالي (١٩م) ومن أعلامه: مرتضى آل نظمي، وياسين العمري، وعيسى البندنيجي.

٢. اتجاه استهدف تأكيد أهمية بغداد من خلال جمع ما تناثر في المصادر من نصوص عن مؤسساتها ومرافقها ومعاملها المختلفة، ونلاحظ أن أبرز المحاولات في هذا الاتجاه لم يكن يُعنى بتحديد العلاقات المكانية أو الزمانية بين المعطيات الخططية لتلك النصوص. ومع ذلك فقد احتوت المحاولات المذكورة على قدر لا بأس به من الآراء الخططية ، توصل إليها أصحابها بالاستدلال بالمعالم الشاخصة الأخرى، سوى القبور. وفي وسعنا أن نعد نهاية القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م) بداية لهذا

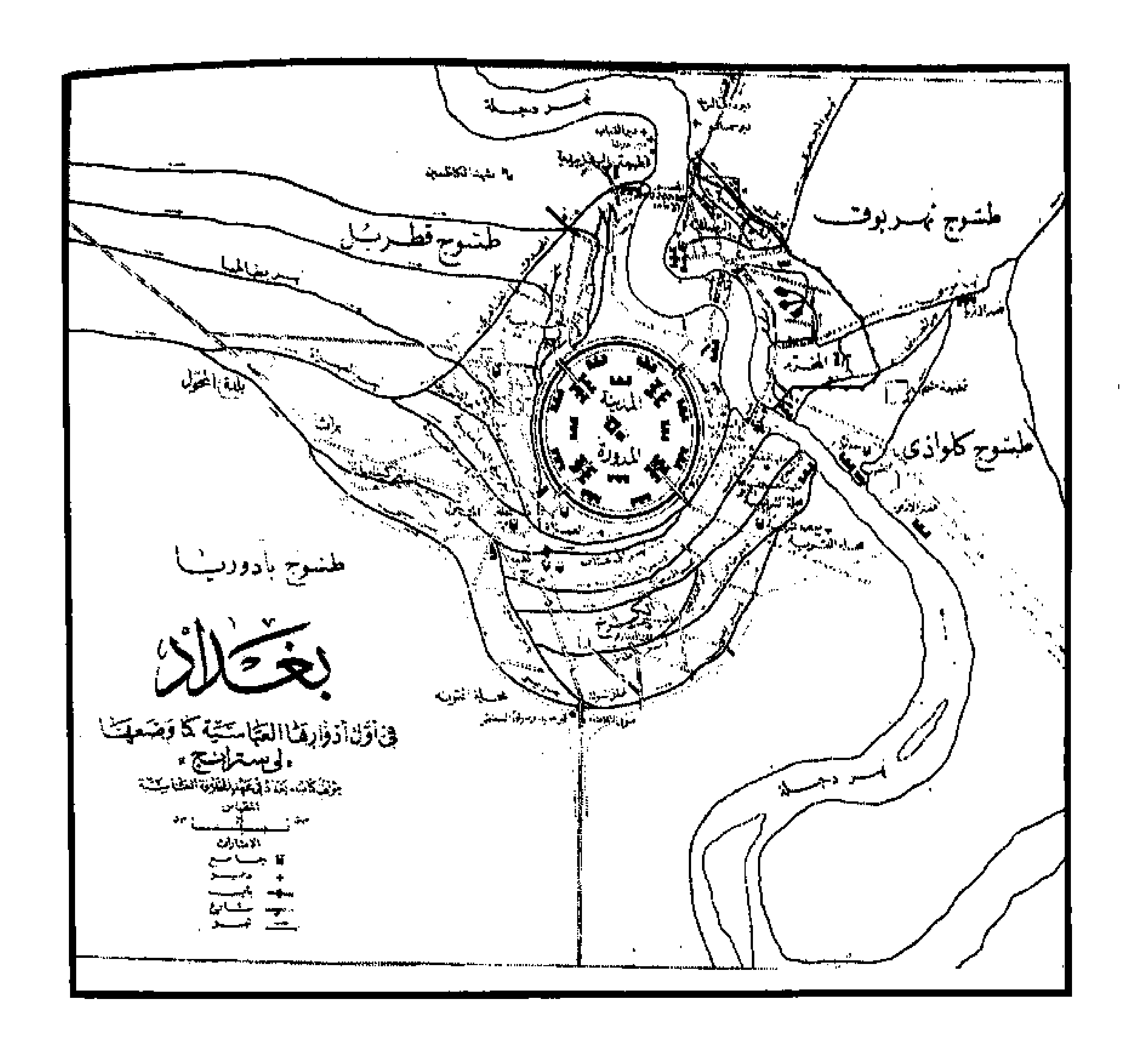
الاتجاه الذي استمر واضحاً حتى العشرينيات من القرن العشرين، ومن أبرز أعلامه : إبراهيم فصيح الحيدري، ومحمود شكري الألوسي.

٣. اتجاه استهدف دراسة طبيعة الأرض التي قامت عليها مدينة بغداد كسبيل لفهم أساسيات هذه المدينة ومديات اتساعها في القرون الأولى من تاريخها. وقد اعتمد اصحاب هذا الاتجاه على دراسة شبكة الأنهار المعقدة التي أورد أخبارها البلدانيون العرب القدامى، وسعوا إلى تحديد اتجاهات جريانها، ومآخذها ومصباتها ، وتعيين ما أقيم عليها من قناطر، ثم ما حواليها من منشآت أخرى. وقد برز هذا الاتجاه خاصة في أعمال مستشرقين أفادوا من تجارب سابقة في دراسة خطط المدن القديمة، أمثال : هرزفيلد وزاره وشترك وليسترنج، ممن نشروا دراساتهم في الربع الأول من هذا القرن .

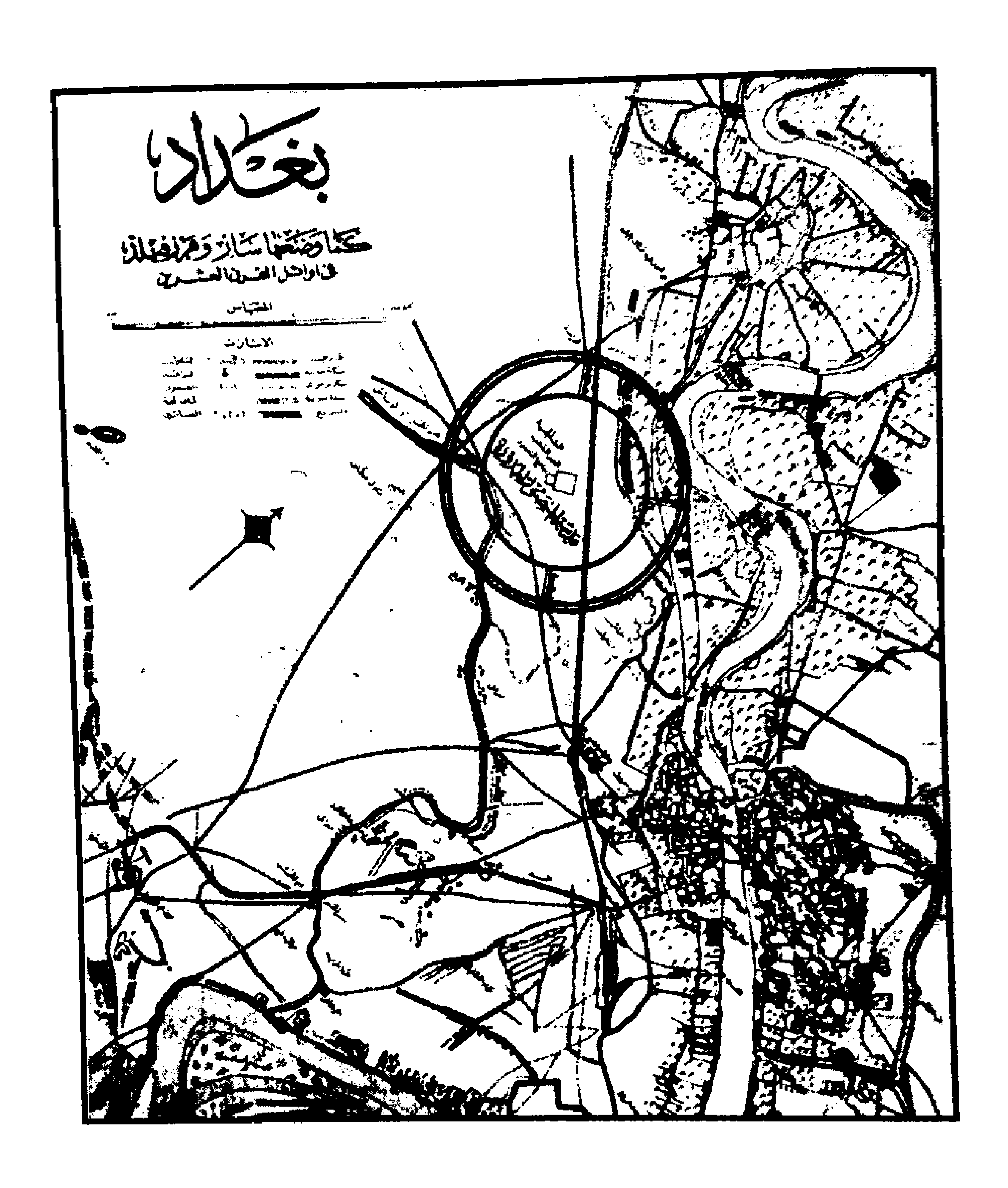
٤. اتجاه أراد أصحابه وصف المعالم الخططية الشاخصة في عهدهم، من مساجد وتكايا وسقايات وأبواب وأضرحة وغيرها، وتسجيل ما عليها من كتابات أثرية. وقد حاول بعضهم التوصل إلى حقيقة ما كانت عليه هذه المنشآت في العصور العباسية، وما كانت تعرف به مواقعها أبان تلك العصور، فقدموا من ثم آراء خططية لا بأس بها، لكنها لم تكن تؤلف صورة شاملة لبغداد في عصر محدد، ويمكن تلمس هذا الاتجاه في أعمال كل من : محمود شكري الألوسي، وعباس بن جواد البغدادي، وعبد الحميد عباده، ومحمد سعيد الراوي، ومحمد صالح السهروردي، الذين عاصر ظهورهم الباحثين الخططيين من أصحاب الاتجاه السابق .

٥. اتجاه قصد به باحثوه الاستدلال على مواقع المنشآت العباسية، من مساجد وقصور وأسوار وأسواق، وذلك من خلال دراسة خريطة بغداد المتأخرة، على أساس أن هذه الخريطة حافظت على اتجاهاتها العامة منذ أواخر العصر العباسي دونما تغيير كبير، وتشمل مواقع الأسوار، والأبواب، والأسواق، والدروب، والمشارع. ثم الاستعانة بالنصوص الأدبية والتاريخية في توضيح ما كانت تعرف به هذه المنشآت والمعالم ابان العصر العباسي، ومن ثَم التوصل إلى معرفة طبيعة ما كانت تضمه من مواضع خططية. وقد تمثل هذا الاتجاه في أعمال يعقوب سركيس وأحمد سوسة ومصطفى جواد في المدة من الثلاثينات وحتى أواخر العقد السادس.

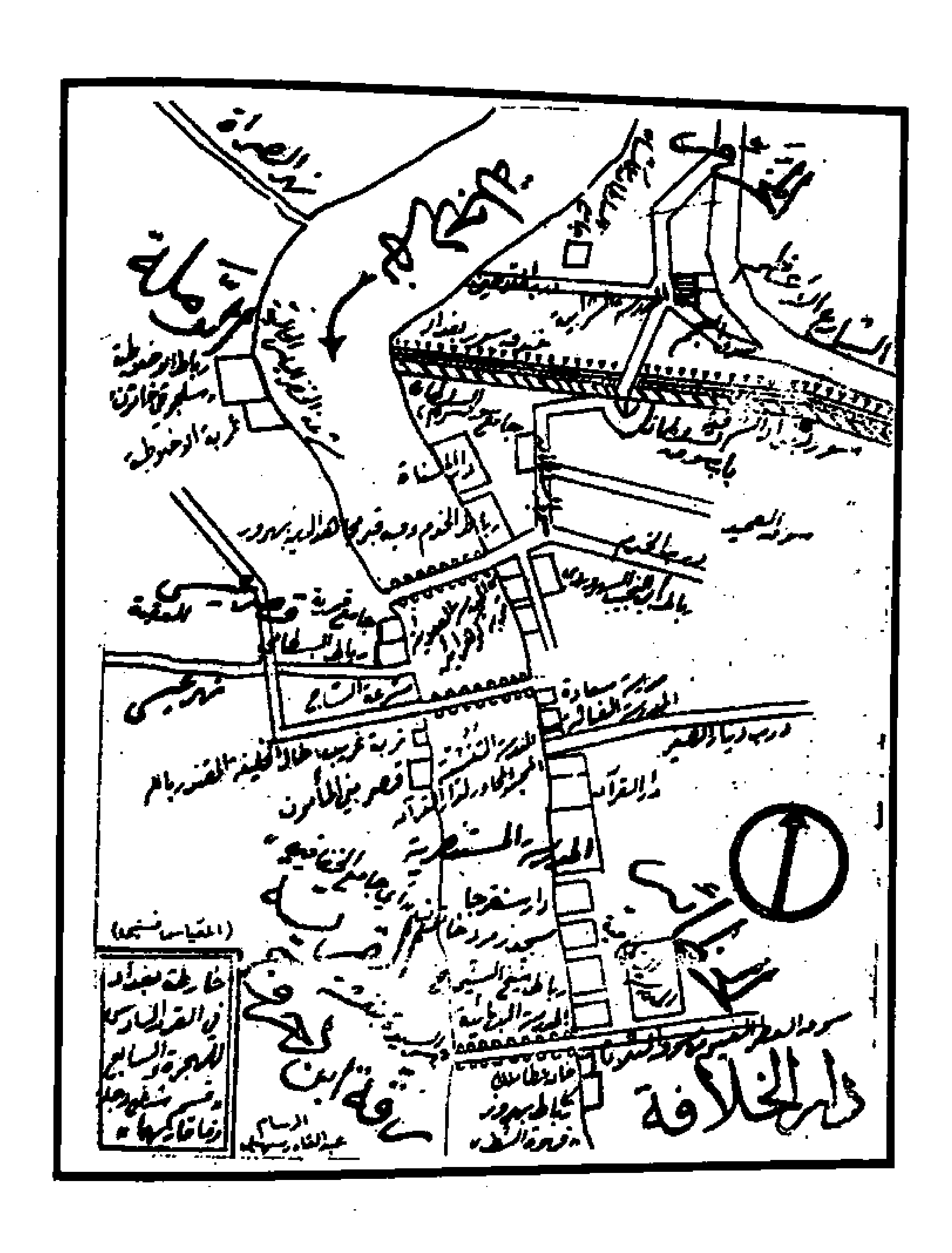
٦. اتجاه درس أصحابه خطط بغداد، ليس بوصفها غاية، بحد ذاتها، وإنما لكونها القاعدة الأساس لفهم موضوعات أخرى لها تعلق بتنظيم إدارة المدينة، ووسائل الاتصال فيها، وجوانب من اقتصادها، وعلاقات أهلها الاجتماعية، وما يتصل بذلك من شؤون حضارية عامة. وقد ظهر هذا الاتجاه أولاً في الخمسينات على يد لِسْتَر ومقدسي وغيرهم، إلاّ أنه تكامل من خلال دراسات الدكتور صالح أحمد العلي التي استمرت حتى التسعينات.



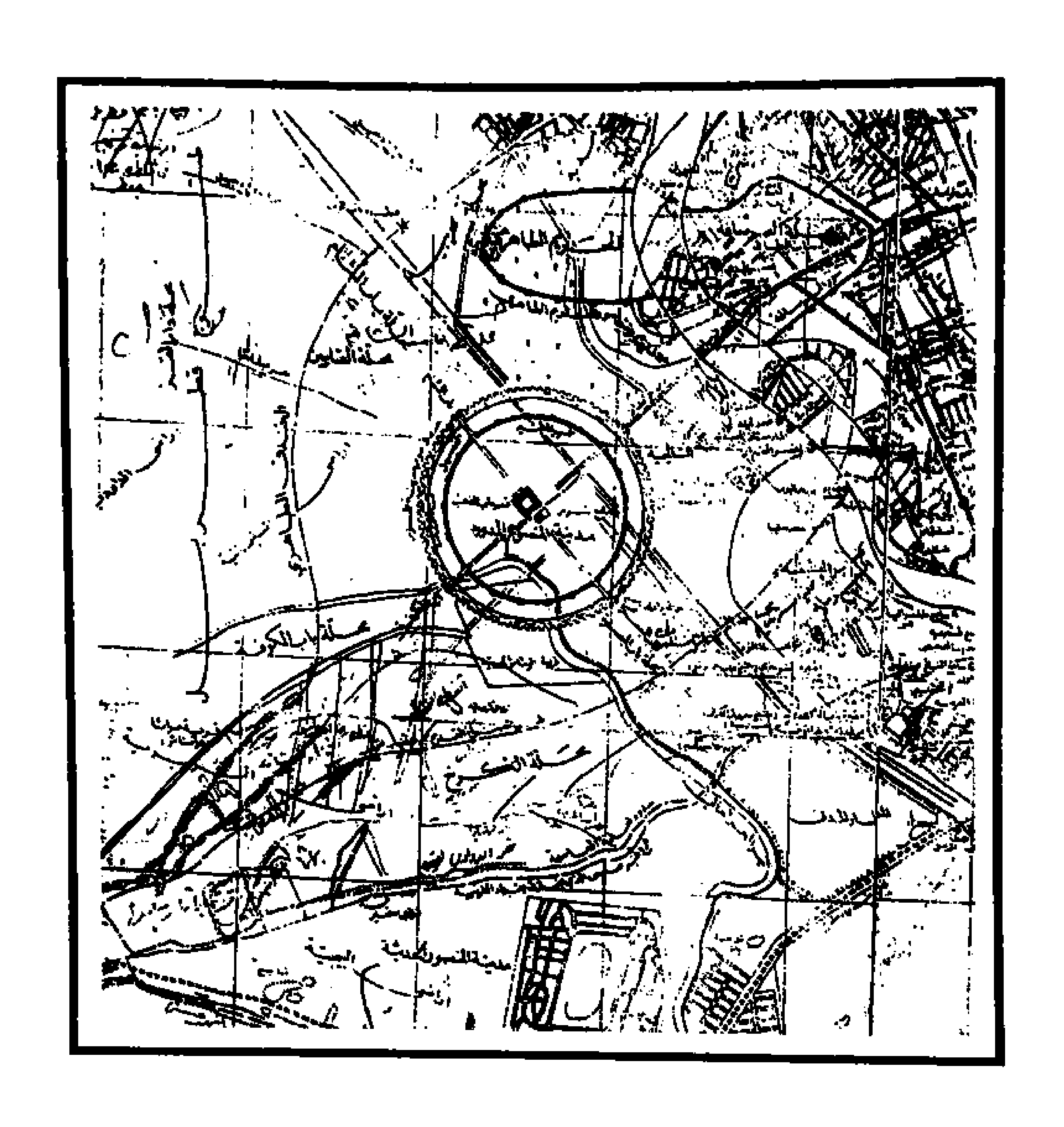
المدينة المدورة وأرباضها كما رسمها ليسترنج عام ١٩٠٠



المدينة المدورة كما حدد موقعها زار و هرزفيلد سنة ١٩٠٨



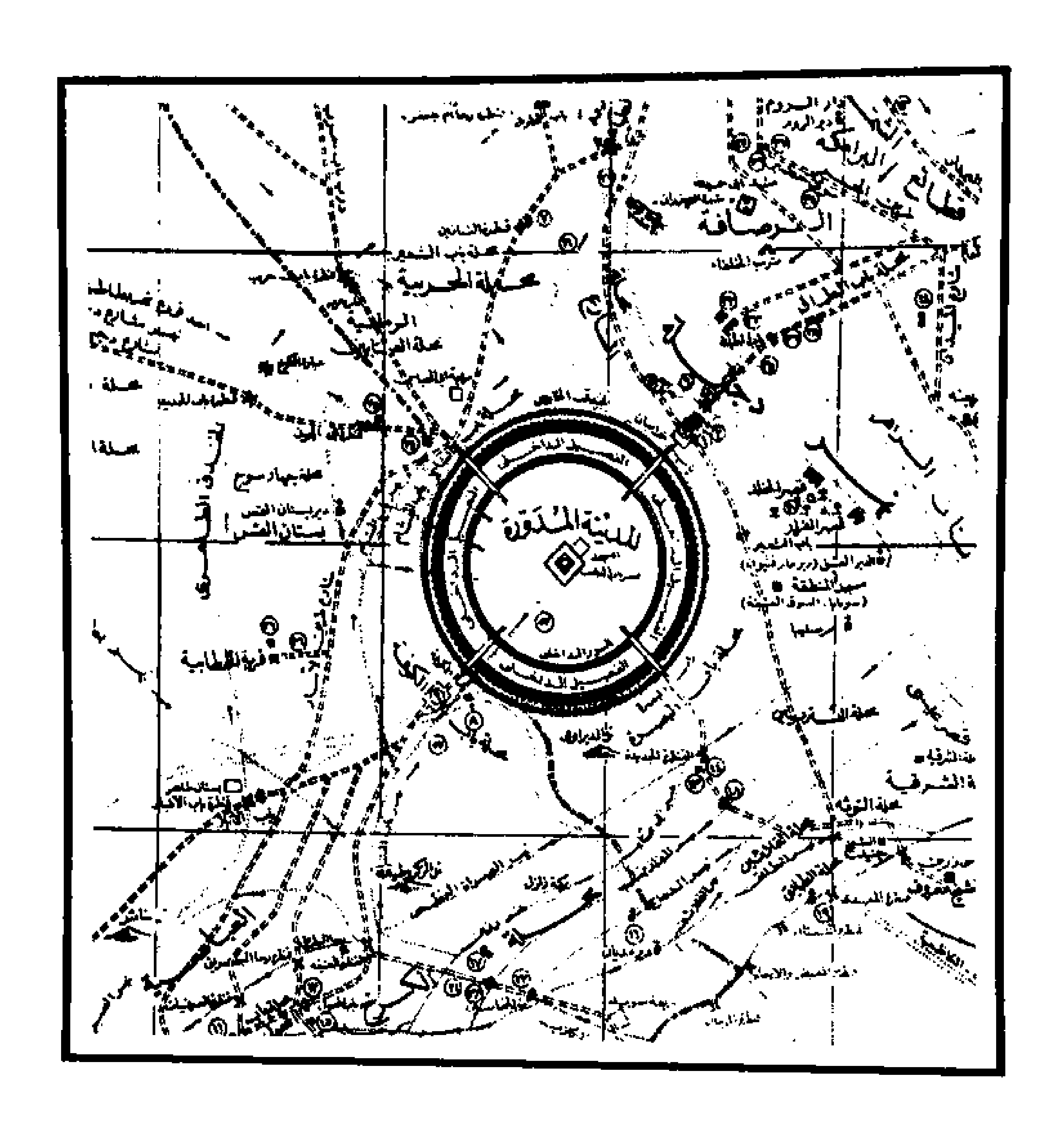
جانب من بغداد في آخر العصر العباسي
من رسم مصطفى جواد سنة ١٩٤٦



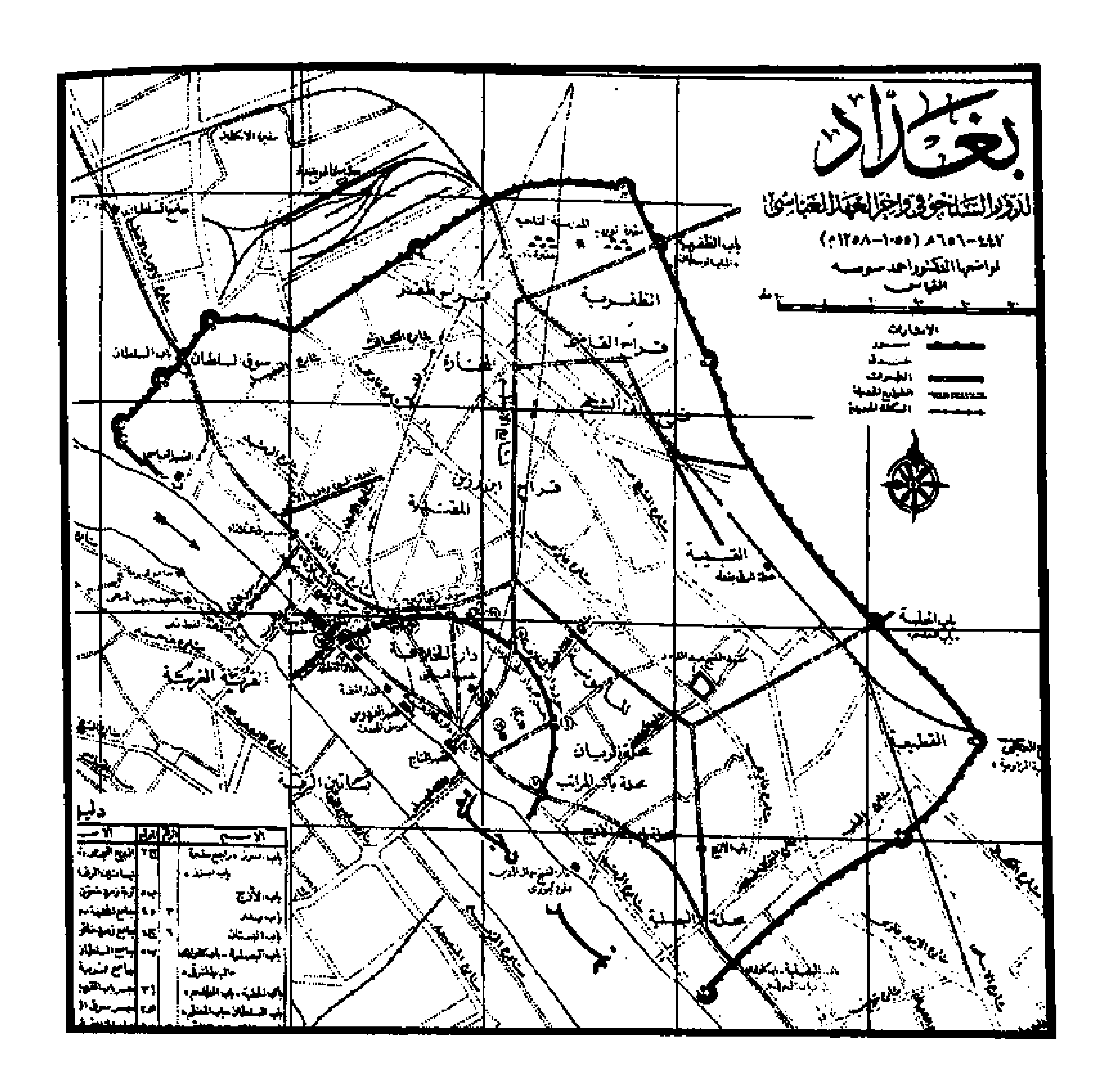
جانب من خارطة بغداد الغربية من رسم أحمد سوسة
ومصطفى جواد وأحمد حامد الصراف سنة ١٩٥١



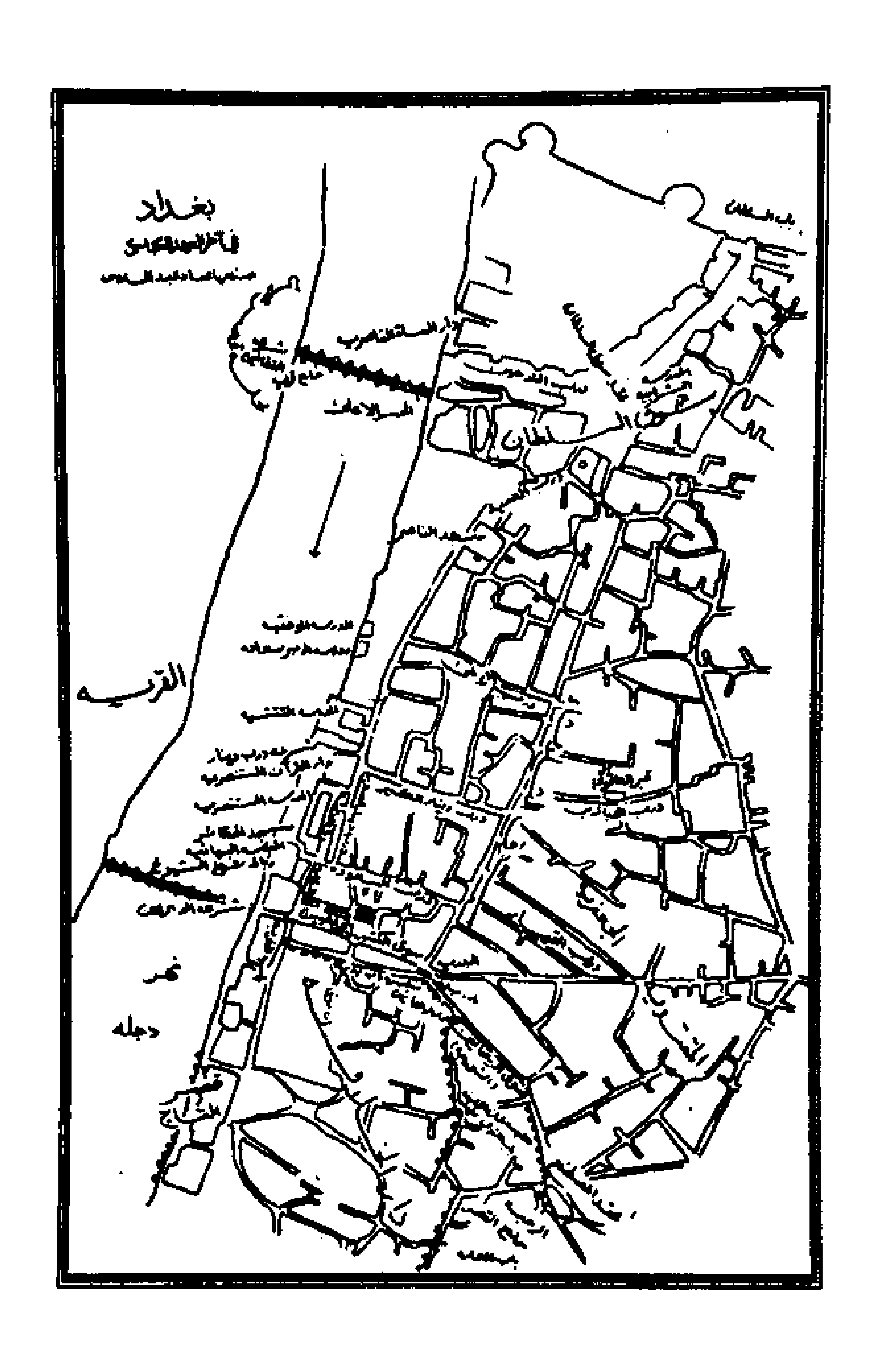
جانب من خارطة بغداد الشرقية من رسم أحمد سوسه
ومصطفى جواد وأحمد حامد الصراف سنة ١٩٦١



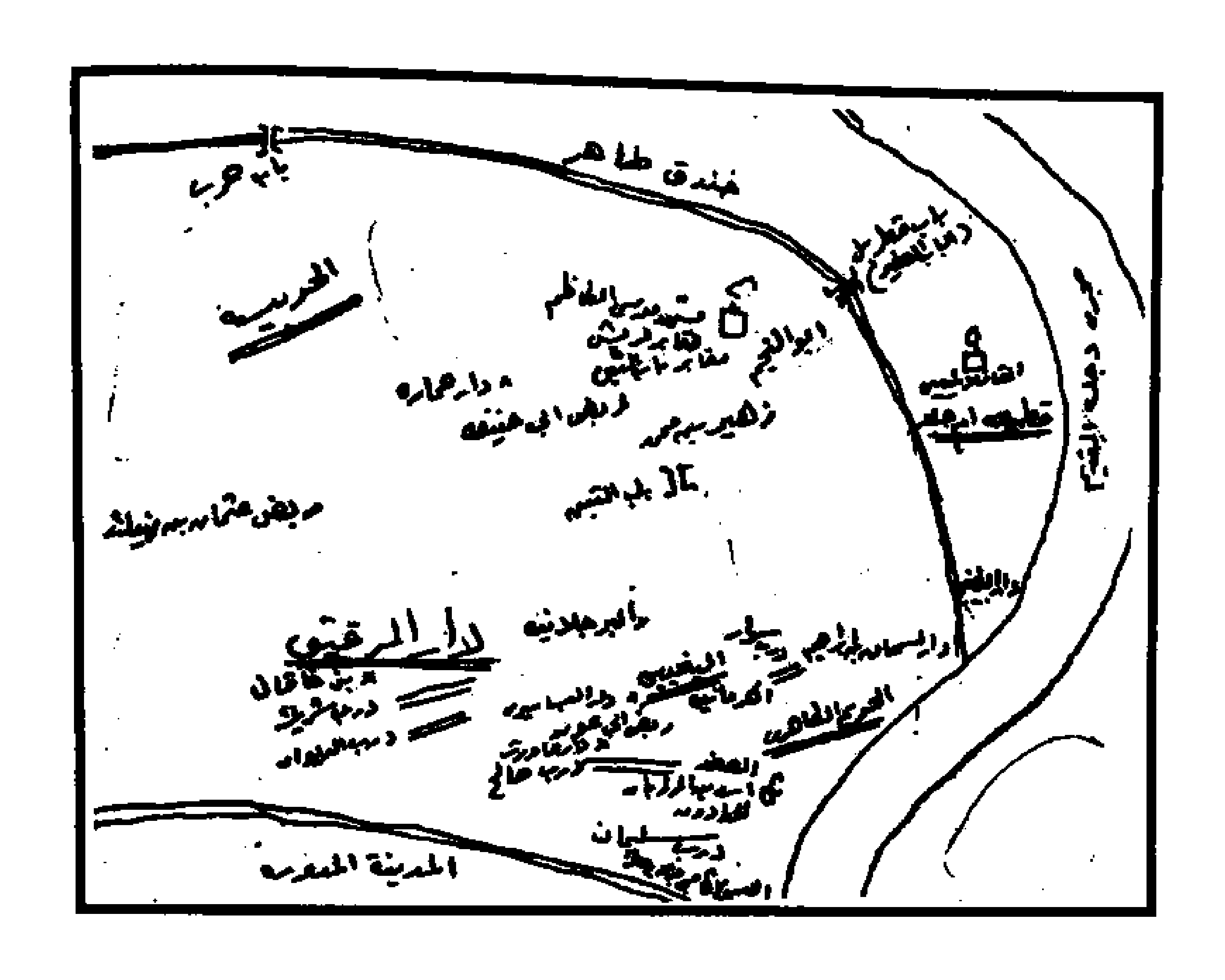
جانب من خارطة بغداد الغربية من رسم أحمد سوسة سنة ١٩٥٢



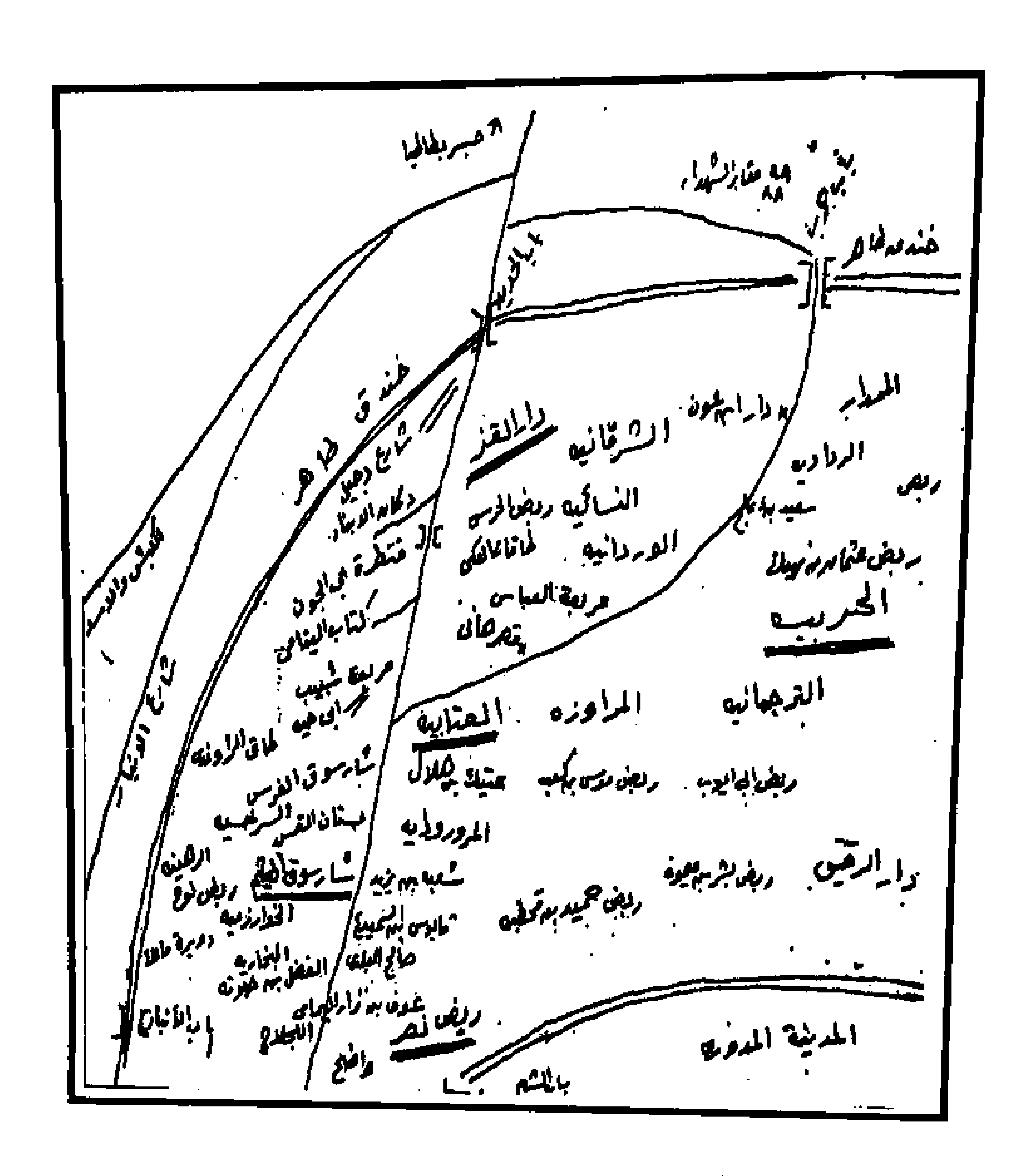
جانب من خارطة بغداد في آخر العهد العباسي من رسم أحمد سوسة سنة ١٩٥٢



جانب من بغداد الشرقية في آخر العصر العباسي
من رسم عماد عبد السلام رؤوف سنة ١٩٦٦



أطراف بغداد الشمالية الشرقية في العصر العباسي
من رسم صالح أحمد العلي سـنة ١٩٨٥



اطراف بغداد الشمالية الغربية في العصر العباسي
من رسم صالح احمد العلي سنة ١٩٨٥

فهرس الأعلام

المواقع

- ك -

- ل -

- م -

ن

و

٤٠٩٥٦٧٢١ر٧١١

ع ٨٣٤ عماد عبد السلام رؤوف

خطـــط بغـــداد في دراســـات المؤرخـــين المحدثين/ تأليف عماد عبد السلام رؤوف .

- بغداد : دار المثنى ، ٢٠٠٢

ص ، ٢٤سم

١- بغداد – تخطيط أ. العنوان

م ٠ و

٢٠٠٢/١٤٦

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٦) لسنة ٢٠٠٢

دار المثنى للطباعة والنشر ببغداد

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف

ولـد في بغـداد سـنة ١٩٤٨
ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٨٣
دكتوراه من جامعة القاهرة ١٩٧٦
أستاذ التاريخ الحديث في كلية التربية إبن رشد - جامعة بغداد

له من المؤلفات المنشورة :
مدارس بغداد في العصر العباسي ، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضيـة ، الموصل في العهد العثماني ، الآثار الخطية في المكتبـة القادرية /خمسة أجزاء تاريخ حوادث بغداد والبصرة ، ديوان العشاري (مشاركة) ، إمـارة كعـب العربية في القرن الثامن عشر (مشاركة) ، لمحات من تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مشاركة) ، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصـر العثمـاني ، كتابة العرب لتاريخهم في العصر العثماني ، مطالع السـعود ، معركة عـين جالوت ، الأسر الحاكمة ورجال الأدارة في العراق في القرون المتأخرة ، الجواهر وصفاتها لأبن ماسويه ، عبد الله السويدي سيرته ورحلتـه ، المدرسة العلية في بغداد ، مخطوطات جامع السيد سلطان علي ، تاريخ بيوتـات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة ، تاريـخ الأسر العلمية ، فهرس مخطوطات السيد محمد سعيد الراوي ، مذكرات فخري الفخري ، ضياء جعفر سيرة ومذكرات مراكز ثقافية مغمورة في كردستان ، تحقيق المخطوطات العلمية ، العراق في وثائق محمد علي ، معالم بغداد في القرون المتـأخرة ، مكتبـة الشرق تاريخها ومخطوطاتها ، المدرسة العلية في بغداد ، ديوان عبد الرحمن السويدي ،كتاب الحوادث المنسوب لأبن الفوطي (مشاركة) ، الحدود الشرقية للوطن العـربي (مشاركة) ، عادلة خاتون ، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغـداد ، خطط بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين ، رحلة المطراقي زادة(بالمشاركة - تحت الطبع) ، النفحة المسكية في الرحلة المكية للسويدي (تحت الطبـع) ٠
وغير ذلك من الكتـب ٠

دار المثنى للطباعة والنشر ببغداد